الجزء الثاني

في العمالات الفقهية، واعمال العبادات،
وما ينضاف إليها من عمالات المسجد،
وعمالات آلات الطهارة، وما يقرب منها،
وفي الامارة على الحج وما يتصل بها.

وفيه خمسة وعشرون باباً

الباب الأول
في معلم القرآن
وفيه أربعة فصول

الفصل الأول
في ذكر من كان يعلم ذلك بالمدينة، والنبي صلى الله عليه وسلم بها

ذكر أبو الفرج الجوزي رحمه الله تعالى في كتابه «كشف مشكل الصحيحين» عبادةَ بن الصامت رضي الله تعالى عنه وقال: شهد المشاهدَ كلَّها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يعلِّم أهل الصُّفَّةِ القرآنَ، وهو أحد النقباء الاثني عشر.

فائدتان لغويتان:

الأولى: في «المحكم» (٦: ٢٨٩): قرأ القرآن يقرَأُه ويَقرُؤه.

الثانية[١]: عند الزجاج: قَرْءًا وقِرَاءة وقرآناً؛ الأولى عن اللحياني، ورجل قارىء من قوم قَرَأَة وقُرَّاء وقارئين، وأقرأ غيره.

وفي «الغريبين»: سمي القرآن قرآناً لأنه جمع فيه القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد، وكل شيء جمعته فقد قرأْته.

وفي «الصحاح» (١: ٦٥): قرأْتُ الشيء قرآناً: جمعته وضممتُ بعضَهُ إلى بعض، ومنه قولهم: ما قرأَتْ هذه الناقةُ سَلَى قطُّ، ولم تقرأْ جنيناً: أي ما انضمَّ[٢] رحمها على ولد. الصُّفَّة ــ بضم الصاد وتشديد الفاء ــ ظُلَّة في مُؤَخَّر مسجدِ النبي

---

(١) النقل هنا عن المحكم ٦: ٢٨٩.

(٢) الصحاح: لم تضمّ.

صلى الله عليه وسلم يأوي إليها المساكين، وإليها ينسب أهل الصفة على أشهر الأقاويل؛ كذلك في «المشارق» (٢: ٥٠).

الفصل الثاني
في ذكر نسب[١] عبادة بن الصامت
رضي الله تعالى عنه، وأخباره

في «الاستيعاب» (٨٠٧) عبادة بن الصامت الأنصاري السالمي، يكنى أبا الوليد، كان نقيباً وشهد العقبةَ الأولى والثانية، وشهد بدراً والمشاهدَ كلَّها، ووجهه عمر إلى الشام قاضياً ومعلماً، فأقام بحمص، ثم انتقل إلى فلسطين، وكان معاوية قد خالفه في شيءٍ أنكره عليه عبادة بن الصامت، فأَغلظ له معاوية في القول، فقال له عبادة: لا أُسَاكِنُكَ بأرضٍ واحدة أبداً، ورحل إلى المدينة، فقال له عمر: ما أقدَمَك؟ فأخبره فقال: ارجعْ إلى مكانك فقبَّح الله أرضاً لست فيها ولا أمثالك، وكتب إلى معاوية: لا إمرةَ لك عليه، وتوفي سنة أربع وثلاثين بفلسطين.

فائدة:

ذكر عبدالله بن علي الرُّشَاطيّ[٢] في كتابه «اقتباس الأنوار» في النسب: فلسطين، وقال: إنها من الشام، وذكر عن اليعقوبي أن فلسطين القديمة كانت مدينةً يقال لها باب لُدّ[٣]، فلما ولي سليمان بن عبدالملك الخلافةَ ابتنى مدينةَ الرملة، ونقل أهل لُدّ إليها، فصارت الرملة مدينة فلسطين.

---

(١) نسب: سقطت من ط.

(٢) أبو محمد عبدالله بن علي بن عبدالله اللخمي الأندلسي الرشاطي من أهل أوريولة وسكن المرية وقتل فيها حين استولى عليها الروم سنة ٥٤٢ (الصلة: ٢٨٥ ومعجم أصحاب الصدفي: ٢١٧ وياقوت «رشاطة»).

(٣) ط: باب لك.

الفصل الثالث
في ذكر من بعثه صلى الله عليه وسلم
إلى الجهاتِ يعلِّم الناسَ القرآن

١ ــ فمنهم مصعب بن عمير رضي الله تعالى عنه: في «السير» (١: ٤٣٤) لابن إسحاق رحمه الله تعالى: ولما انصرف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم القومُ ــ يعني الذين بايعوه في العقبة الأولى ــ قال: وهم اثنا عشر ــ بعث معهم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبدمناف بن عبدالدار بن قُصَيّ، وأمره أن يُقْرِئهم القرآن، ويعلمهم الإسلام، ويفقههم في الدين، وكان يسمَّى المقرىء بالمدينة.

٢ ــ ومنهم معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه: في كتاب «الاكتفاء»[1]: استخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم عَتَّابَ بنَ أَسِيد على مكة، وخَلَّفَ معه معاذَ بن جبل يفقِّه الناسَ في الدين، ويعلمهم القرآن.

وفي «الاستيعاب» (١٤٠٣): بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم قاضياً إلى الجَنَد من اليمن يعلِّم الناسَ القرآنَ وشرائعَ الإسلام، ويقضي بينهم، وجعل إليه قَبْضَ الصدقات من العمّالِ الذين باليمن عام فتح مكة.

فــائدة:

أَسِيد ــ بفتح الهمزة وكسر السينّ المهملة ــ على وزن أمير قاله عبدالغني في «المؤتلف والمختلف»، قال ابن سيِّد: من قولهم: أسِدَ يأْسَدُ أسداً إذا صار كالأسد.

٣ ــ ومنهم عمرو بن حزم رضي الله تعالى عنه: في «الاستيعاب» (١١٧٣) استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن حزم بن زيد بن لَوذان الخزرجي النجّاري من بني مالك على نجران ــ وهم بَلْحارثُ بن كعب ــ وهو ابن سبع عشرة

---

(١) ورد بعضه في الاكتفاء ٢: ٣٢٥.

سنة، ليفقههم في الدين ويعلمهم القرآن ويأخذَ صدقاتِهم، وذلك سنةَ عشرٍ بعد أن بعث إليهم خالد بن الوليد فأَسلموا.

فـائدة:

في «ديوان الأدب» (٣:٣٨٣) في باب فَعْلان ـ بفتح الفاء وتسكين العين ـ لَوْذَان من أسماء الرجال. انتهى. وقال ابن سيِّد: لوْذان: فَعْلان من لاذ يلوذ. انتهى.

الفصل الرابع
في ذكر أنسابهم وأخبارهم رضي الله تعالى عنهم

١ ـ **مصعب بن عمير**: في «الجماهر» (١٢٦) لابن حزم: مُصْعَب بن عمير بن هاشم بن عبدمناف بن عبدالدار بن قُصَيّ، حسبما نسبه ابن إسحاق في الفصل قبل هذا.

وفي «الاستيعاب» (١٤٧٣): يكنى أبا عبدالله، كان من جلة الصحابة وفضلائِهم.

بلغه[٢] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الإسلام في دار الأرقم، فدخل وأسلم وكتم إسلامه خوفاً من أُمه وقومه، وكان يختلف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سرّاً فبصُر به عثمان بن طلحةَ يصلي فأَخبر به قومه، فأَخذوه فحبسوه، فلم يزل محبوساً إلى أن خرج إلى أرض الحبشة في أول من هاجر إليها، وشهد بدراً، ولم يختلف أهل السير أن راية رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ويوم أُحد كانت بيده، فلما قتل يوم أُحد أخذها علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه إلى المدينة قبل الهجرة بعد

---

(١) من هنا حتى قوله «أخذها علي بن أبي طالب رضي الله عنه» لم يرد في الاستيعاب.

العقبة يُقرئهم القرآن، ويفقههم في الدين، وكان يدعى القارىء والمقرىء، ويقال: إنه أول من جَمَّع الجمعة بالمدينة قبل الهجرة.

وقال الواقدي (١٤٧٤): كان مصعب بن عُمير فتى مكةَ شباباً وجمالاً وكان أبواه يحبانه، وكانت أُمه تكسوه أحسنَ ما يكون من الثياب، وكان أعطر أهل مكة، يلبس الحضرميَّ من النعال، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكره فيقول: ما رأَيت بمكة أحسن لِمَّة، ولا أرقَّ حُلَّة، ولا أنعم نعمة، من مصعب بن عمير، وقتل يوم أُحد شهيداً، وهو يَومئذ ابن أربعين سنة.

وعن خبَّاب رضي الله تعالى عنه قال: قُتِل مصعب بن عمير يوم أُحد، ولم يكن له إلا نَمِرَة، فإذا غطينا بها رأسه خرجت رجلاه، وإذا غطينا بها رجليه خرج رأْسه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «غطُّوا بها رأْسه واجعلوا على رجليه من الإذْخر».

٢ ــ **معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه**: يأْتي نسبه وأَخباره في باب القاضي.

٣ ــ **عمرو بن حزم رضي الله تعالى عنه**: يأْتي نسبه وأخباره في باب المفقِّه.

فائدة لغوية:

الهروي: كل شَمْلة مُخَطَّطة من مآزر الأعراب فهي نَمِرَة، وجمعها نِمار، وفي «المشارق» (٢:١٣): النِّمار بكسر النون جمع نَمرَة، وهي شَمْلةٌ مُخَطَّطَة من صوفٍ[1].

---

(١) يستدرك هنا أسماء عدد من المعلمين منهم أبو عبيدة ورافع بن مالك وأسيد بن حضير وخالد بن سعيد بن العاص، وقد فصل الكتاني صلة كل واحد منهم بالتعليم في التراتيب ١:٤٣ ــ ٤٤.

الباب الثاني
في معلم الكتابة
وفيه فصلان

الفصل الأول
في ذكر من كان يعلّم ذلك في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم

١ ـ ذكر المعلم من الرجال:

المعلم المسلم: ذكر أبو عمر ابن عبدالبر رحمه الله تعالى في «الاستيعاب» (٩٢٠) عبدالله بن سعيد بن العاص بن أُمية بن عبدشمس بن عبدمناف، وقال: كان اسمه في الجاهلية الحكم، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدالله، وأمره أن يعلم الكتاب بالمدينة، وكان محسناً، قتل يوم بدر شهيداً، وقيل بل قتل يوم مؤتة شهيداً، وقال أبو معشر: استشهد يوم اليمامة رحمه الله تعالى.

وخرج أبو داود (٢:٢٣٧) رحمه الله تعالى عن عُبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه قال: علَّمتُ ناساً من أَهل الصفة الكتاب والقرآن، فأَهدى إليَّ رجل منْهم قوساً، فقلت: ليست بمال وأرمي عليها في سبيل الله، فقلت: لآتينَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فلأَسألَنَّه، فأَتيتُهُ فقلت: يا رسول الله، رجل أَهدى إليَّ قوساً ممن كنتُ أُعلِّمه الكتابَ والقرآن، وليست بمال، وأرمي عليها في سبيل الله؟ قال: إن كنتَ تُحِبُّ أن تُطَوَّقَ طوقاً من نارٍ فاقبلها. انتهى.

المعلم الكافر: في «الروض الأنف» (٥:٢٤٥) للسهيلي في الكلام على غزوة بدر قال: وكان في الأسرى يوم بدر مَنْ يكتب، ولم يكن في الأنصار أحدٌ يحسن

الكتابة، فكان منهم من لا مال له، فيُقبلُ منه أن يُعَلِّم عَشْرةً من الغلمانِ الكتابةَ ويُخَلَّى سبيله، فيومئذ تعلَّم الكتابةَ زيد بن ثابت في جماعة من غلمان الأنصار.

٢ ــ ذكر المعلمة من النساء:

قال أبو عمر في «الاستيعاب» (١٨٦٨): الشفاء أم سليمان بن أبي حثْمة، قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: علِّمي حفصة رُقْيَةَ النملةِ كما علَّمْتِها الكتاب.

وخرج أبو داود (٢: ٣٣٧) رحمه الله عن الشفاء بنت عبدالله قالت: دخل عَلَيَّ النبي صلى الله عليه وسلم وأنا عند حفصة فقال: ألا تعلّمينَ هذه رُقْيَةَ النملةِ كما علمتها الكتابة؟. انتهى.

فائدة فقهية:

قال أَبو سُليمان الخطابي في «معالم السنن»: في هذا الحديث دليلٌ على أن تعلُّمَ النساءِ الكتابةَ غيرُ مكروهٍ.

فوائد لغوية في ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: قول عبادة رضي الله تعالى عنه: ممن كنت أعلمه الكتابَ والقرآن، وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم للشفاء: كما علَّمتها الكتاب: هو بمعنى الكتابة، ويبينه رواية أبي داود: كما علمتها الكتابة.

وفي كتاب «الزينة» لأبي حاتم أحمد بن حمدان الرازي رحمه الله تعالى: وفي الحديث: علمت رجلاً من أهل الصُّفَّة القرآن والكتاب، يعني به: الخط والهجاء.

وفي «المحكم» (٦: ٤٨٢ ــ ٤٨٣) لابن سيده: كَتَبَ الشيء يكْتُبُه كَتْباً وكِتَاباً، وكَتَّبه: خطَّهُ؛ قال أبو النجم[1] [من الرجز]

أقْبَلْتُ من عند زيادٍ كالخَرِفْ تَخُطُّ رِجْلاَيَ بخَطٍّ مُخْتَلِفْ
تُكَتِّبَانِ في الطريقِ لامَ ألف

(١) ديوان أبي النجم: ١٤١ (وتخريجها: ٢٥١).

وكَتَّب الرجلَ وأَكتَبَهُ: علمه الكِتَاب، والمُكْتِبُ: المُعَلِّمُ. وقال اللِّحياني: هو المُكَتِّبُ.

قال الحسن: كان الحجاج مُكْتِباً بالطائف، يعني معلِّماً[1]، ومنه قيل: عُبَيدٌ المُكْتِبُ: لأنه كان معلماً، والمَكْتَبُ موضع الكتاب، والمَكْتَب والكُتَّاب موضع تعليم الكتاب، ورجل كاتبٌ، والجمع: كُتَّاب وَكَتَبَة، وحِرفته الكِتَابَة، والْكِتْبَة: الحالة، واستكتبه: أمره أن يكتبَ له، والكتاب ما كُتِبَ فيه، والجمع كتبٌ.

المسألة الثانية: قول عُبادة بن الصامت أيضاً: وأرمي عليها في سبيل الله، يعني القوس. قال ابن قتيبة: في «أدب[2] الكتاب» (٥٣٧)»: رميت على القوس أي عنها. قال ابن السيد في «الاقتضاب» (٢: ٢٧٠) إنما جاز استعمال على ها هنا بمعنى عن لأنه إذا رمى عنها وضع السهم عليها للرمي. وقال ابن قتيبة: (٥٣٩) ورميت عن القوس بمعنى بالقوس، أَعملوا عن بمعنى الباء. قال ابن السيد في «الاقتضاب» (٢: ٢٧٢) هذا غير صحيح، لأن عن في قولهم: رميت عن القوس ليست ببدل عن شيء لأن معنى عن التجاوز كقولك: خرجت عن البلد، وهذا موجود في الرمي لأن السهم يتجاوز القوس، ويسير عنها. وأنكر بعض النحويين استعمال الباء ها هنا وقال: لا يقال: رميت بالقوس إلا إذا ألقيتها من يدك؛ قال ابن السيد: إنما أنكر هذا المنكر ذلك لأنه توهم أن قوله: رميت بالقوس بمنزلة قولهم: رميت بالشيء إذا ألقيته من يدك، قال: وليس المعنى على ما ظنَّ، وإنما المعنى رميتُ السهمَ بالقوس.

المسألة الثالثة: أبو حَثْمة: والد سليمان بن الشفاء ــ بفتح الحاء المهملة وسكون الثاء المثلثة ــ كذلك ضبطه الحافظ أبو علي الغساني بخطه في «الاستيعاب». وفي «المحكم» (٣: ٢٢٤) الحَثْمة: أُكَيْمَة صغيرة سوداء من حجارة،

---

(١) قال الحسن... معلما: سقط من ط.

(٢) م: آداب.

والحثمة: أرنبة الأنف، والحثْمة: المهر[1] الصغير، والجمع من كل ذلك حِثَام، وأبو حَثْمة: رجلٌ من جلساء عمر، كني بذلك. انتهى.

الفصل الثاني
في ذكر أنسابهم وأخبارهم

١ ــ **عبادة بن الصامت**: تقدم ذكر نسبه وأخباره في الباب الذي قبل هـذا.

٢ ــ **الشفاء أم سليمان بن أبي حثمة**: في «الاستيعاب» (١٨٦٨): هي الشفاء بنت عبدالله بن عبدشمس بن خَلَف[2] بن صَدَّاد، ويقال: ضِـرَار بن عبدالله بن قُرط بن رزاح بن عدي بن كعب القرشية العدوية، من المبايعات. قال أحمد بن صالح المصري[3]: اسمها ليلى، وغلب عليها الشفاء، أسلمت قبل الهجرة، وهي من المهاجرات الأُول، وبايعت النبي عليه السلام، وكانت من عقـلاء النساء وفضلائهن، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها[4] ويَقيل عندها في بيتها، وكانت قد اتخذت له فراشاً وإزاراً ينام فيه، فلم يزل ذلك عند ولدها حتى أَخذه منها مروان. وقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: علمي حفصة رقية النملة كما علمتها الكتاب. وأَقطع لها رسول الله صلى الله عليه وسلم دارها عند الحكاكين، فنزلتها مع ابنها سليمان، وكان عمر يقدمها في الرأْي ويفضلها، وربَّما ولَّاها شيئاً من أُمور[5] السوق.

---

(١) ط: الأنف.

(٢) م ط: خالد.

(٣) أحمد بن صالح المصري أبو جعفر الحافظ المعروف بابن الطبري، روى عنه البخاري وأبو داود والترمذي، ثقة صدوق، توفي سنة ٢٤٨ (تهذيب التهذيب ١: ٣٩ ــ ٤٢).

(٤) الاستيعاب: يأتيها.

(٥) الاستيعاب: أمر.

الباب الثالث
في ذكر الفقه في الدين
وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول
في الحض على التفقه في الدين

فمن ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: مَنْ يُرِدِ الله به خيراً يُفَقِّهْهُ في الدين، وإنما أنا قاسمٌ ويعطي الله. رواه مسلم (١:٢٨٣) رحمه الله تعالى عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: . . .

ورواه النسائي رحمه الله تعالى عن أبي هريرة قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: . . .

ومن ذلك أيضاً قوله صلى الله عليه وسلم: نَضَرَ الله امرءاً سمع منَّا حديثاً فحفظه حتى يبلِّغَهُ غيرَه، فربَّ حاملِ فقهٍ إلى من هو أفقهُ منه، وربَّ حاملِ فقهٍ ليس بفقيه. رواه الترمذي (٤:١٤١) عن زيد بن ثابت، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: . . .

فائدتان لغويتان:

الأُولى: في «التنقيح»[1] الفقه لغةً: هو الفهم والعلم، وفي الاصطلاح

---

(١) التنقيح: هو كتاب تنقيح الفصول في علم الأصول لشهاب الدين أحمد بن إدريس الصنهاجي القرافي، انتهت إليه رياسة مذهب مالك في عصره، ومن أهم مؤلفاته أيضاً الذخيرة، وكانت وفاته سنة ٦٨٤ (الديباج المذهب ١:٢٣٦).

هو العلم بالأحكام الشرعية العملية بالاستدلال، ويقال فَقِه بكسر القاف، إذا فهم، وبفتحها إذا سبق غيرَهُ إلى الفقه، وبضمّها إذا صار الفقهُ له سجيةً.

الثانية: في «الغريبين» في الحديث: نضر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها. رواه الأصمعي بالتشديد، وأنشد:

نضَّـر اللّهُ أعـظُمـاً دفنـوهـا بسِجسْتَـانَ طلْحَـةَ الـطَّلحَـاتِ[1]

ورواه أبو عبيد بالتخفيف، وقال ابن شُمَيْل: نَضَّره الله، ونَضَره الله، وأَنْضَرَه اللّهُ، وقال ابن طريف: فَنَضَر هو ونضِر ونَضُر نضارةً ونَضْرَة.

الفصل الثاني
كيف كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمور الدين، وقد جاءت بذلك آيات وأحاديث

فمن الآيات قول الله عز وجل: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾ (المائدة: ٤) وقوله تعالى: ﴿يسأَلُونَكَ عَنِ الخَمْرِ والمَيْسِرِ﴾ (البقرة: ٢١٩) وقوله تعالى: ﴿ويَسْأَلونَكَ عن المحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فاعْتَزِلُوا النِّساءَ في المَحِيضِ﴾ (البقرة: ٢٢٢) وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ﴾ (البقرة: ١٨٩) إلى غير ذلك من الآي الشَّرِيفةِ.

١ ــ **ومن أحاديث سؤال الرجال**: حديث أبي رفاعة العدوي، رواه مسلم[2] والنسائي رحمهما الله تعالى، والنصُّ للنسائي عن حميد بن هلال قال، قال أبو رفاعة: انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطبُ، فقلت:

---

(١) البيت لابن قيس الرقيات في ديوانه: ٢٠ واللسان والتاج (نضر).

(٢) انظر صحيح مسلم ١: ٢٣٩.

(٣) م: قوائمه حديداً؛ وقوله: وترك خطبة... وسلم: سقط من ط. وفي مسلم: حسبت قوائمه حديداً.

يا رسولَ الله، رجلٌ غريبٌ جاء يسأَلك عن دينه، لا يدري ما دينه، فأَقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك خطبته حتى انتهى إليَّ، فأَتى بكرسيّ خِلْتُ قوائمه حديداً، فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يعلِّمني مما علّمه الله، ثم أَتى خطبته فأَتمّها[1].

وحديث مسلم (١: ٩٧) عن علي رضي الله تعالى عنه قال: كنت رجلاً مَذّاء، فكنت أستحيي أَن أَسأَل رسول الله صلى الله عليه وسلم لمكان ابنته فأَمرت المقداد بن الأسود، فسأَله فقال: يغسل ذكره ويتوضأُ.

٢ ــ **سؤال النساء**: حديث مسلم (١: ٩٨) أَيضاً عن أُم سلمة رضي الله تعالى عنها قالت: جاءت أُمُّ سُلَيم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسولَ الله إن الله لا يستحيي من الحق، فهل على المرأَة من غسلٍ إذا احتلمت؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم إذا رأَتِ الماء. فقالت له أُم سلمة: يا رسولَ الله أَوَتحتلمُ المرأَة؟ فقال: تَرِبَتْ يداكِ ففيم يشبهُهُا ولدها؟ انتهى.

وحديث مسلم (١: ١٠٢) عن عائشة رضي الله تعالى عنها أَن أَسماء سأَلت النبي صلى الله عليه وسلم عن غسْلِ المحيض قال: فقال: تأْخذُ إحداكُنَّ ماءَها وسِدْرَتَهَا فتتطهر بها فتحسن الطهور، ثم تصبّ على رأْسها فتدلكه دلكاً شديداً حتى تبلغَ شؤونَ رأْسها، ثم تصبّ عليها الماء، ثم تأْخذُ فِرْصةً مُمَسَّكَةً فتطهر بها. فقالت أسماء: وكيف أتطهر بها؟ فقال: سبحان الله تَطَهَّرِين بها؛ فقالت عائشة: كأَنها تُخفِي ذلك، تتبعِين أَثر الدم. وسأَلته عن غسل الجنابة فقال: تأَخذ ماء فتطهر فتحسنُ الطهور أَو تبلغ الطهور، ثم تصبّ على رأْسها فتدلكه حتى تبلغ شؤون رأسها ثم تفيض عليها الماء. فقالت عائشة: نعم النساء نساء الأَنصار، لم يكن يمنعهن الحياء أَن يتفقَّهْنَ في الدين.

---

(١) مسلم: فأتم آخرها.

فائدة لغوية:

في «المشارق» (١: ١٢٠) قوله: تربت يداك: أَصله من قولهم: تَرِب الرجل ــ بفتح التاء وكسر الراء ــ إذا افتقر، واختلف في معناه وتفسيره... والأَصح في هذا ومثله من الأدعية الموجودة في كلام العرب المستعملة كثيراً لدعم الكلام ووصله وتهويل الخبر مثل: لا أَبالك وثكلتك أُمك، وشبهه، أَنه لا يقصد به الدعاء، وإن كان أَصله الدعاء، ثم جرى على أَلسنتهم وكثر من[1] استعمالهم في غير مواطن الدعاء والذم فأتوا به عند التعجب والاستحسان والتعظيم. نقلته مختصراً.

الفصل الثالث
في ذكر من بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مفقهاً في الدين وذكر أَنسابهم وأَخبارهم

١ ــ **فمنهم مصعب بن عمير**: في «السير» (١: ٤٣٤) لابن إسحاق رحمه الله تعالى أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه مع القوم الذين بايعوه في العقبة الأُولى وهم اثنا عشر، وأمره أَن يقرئَهم القرآن ويعلمهم الإِسلام ويفقههم في الدين، وكان يسمى المقرىء بالمدينة، وقد تقدم التعريف به في باب مقرىء القرآن.

٢ ــ **ومنهم معاذ بن جبل**: في «الاكتفاء» (٢: ٣٢٥)[2] استخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم عَتَّاب بن أَسِيد على مكة، وخلَّف معه معاذ بن جبل يفقه الناس في الدين ويعلمهم القرآن. انتهى.

وفي «الاستيعاب» (١٤٠٣): وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم قاضياً إلى الجَنَد من اليمن، يعلِّم الناسَ القرآن وشرائع الإِسلام، ويقضي بينهم، وجعل إليه قبض الصدقات من العمّال الذين باليمن عام فتح مكة.

---

(١) المشارق: في.

(٢) ورد بعضه في الاكتفاء.

تنبيـــه:

قد تقدم الوعد بمجيء ذكر نسب معاذ وأخباره رضي الله تعالى عنه عند ذكره في باب القاضي إن شاء الله تعالى.

٣ ـ **ومنهم عمرو بن حزم:** في «الاستيعاب» (١١٧٢) استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمروَ بن حزم بن زيد بن لَوْذان الخزرجي النجّاري من بـني مالك على نجران وهم بلحارث بن كعب، وهو ابن سبع عشرة سنة، ليفقههم في الدين ويعلمهم القرآن ويأخذ صدقاتهم، وذلك سنة عشر بعد أَن بعث إليهم خالد بن الوليد، وكتب له كتاباً فيه الفرائض والسنن والصدقات والديات. لم يشهد بدراً فيما يقولون، وأَول مشاهده الخندق، ومات بالمدينة سنة إحدى وخمسين، وقيل سنة ثلاث وخمسين، وقيل سنة أَربع وخمسين، وقيل إنه توفي في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بالمدينة.

الباب الرابع

في اتخاذ الدار ينزلها القراء ويتخرج منه اتخاذ المدارس

ذكر أبو عمر ابن عبدالبر رحمه الله تعالى في باب العبادلة من «الاستيعاب» (٩٩٧، ١١٩٨) عبدالله بن أُم مكتوم الأعمى القرشي العامري وقال: كان قديم الإسلام بمكة، وهاجر إلى المدينة، واختلف في وقت هجرته إليها، فقيل كان ممن قدم المدينة مع مصعب بن عمير قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال الواقدي: قدمها بعد بدر بيسير فنزل دار القُرَّاء[1].

فائدة لغوية:

ابن طريف: درس الكتاب درساً ودراسة: تردد على قراءته ليحفظه.

الجوهري (٢: ٩٢٥، ٩٢٤) دارستُ الكتبَ وتدارستُها وادَّارستُها أَي درستها. ويقال سمي إدريس عليه السلام لكثرة دراسته كتاب الله عز وجل، واسمه أَخنوخ. قلت: والمِدْرسَةُ: اسم المكان من درس الكتاب يدرُسُه، كالمِرْقَبِ من رَقَبَ يَرْقُب.

---

(١) قاله أيضاً ابن سعد في طبقاته ٤: ٢٠٥.

الباب الخامس

في المفتي
وفيه ثلاث فصول

الفصل الأول
في أن الناس كانوا يستفتون أهل العلم
من الصحابة رضي الله تعالى عنهم في نوازلهم
في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فيفتونهم

روى مالك رحمه الله تعالى في «الموطأ» (٥٩١)[1] عن أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني رضي الله تعالى عنهما أن رجلين اختصما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أحدهما: يا رسول الله اقضِ بيننا بكتاب الله، وقال الآخر، وهو أفقههما، أجلْ يا رسول الله اقضِ بيننا بكتاب الله وايذن لي في أن أتكلم فقال: تكلم، قال: إن ابني كان عسيفاً[2] على هذا فزنا بامرأته، فأُخْبِرتُ أن على ابني الرجم، فافتديتُ منه بمائة شاة وجارية ثم إني سألت أهل العلم فأخبروني أنَّ ما على ابني جلدُ مائة وتغريبُ عام، وأخبروني أنما الرجم على امرأته. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما والذي نفسي بيده لأقضينَّ بينكما بكتاب الله: أمَّا غَنَمُك وجاريتك فَرَدٌّ عليك؛ وَجَلَدَ ابنه مائة وغرَّبه عاماً، وأمر أُنَيْساً الأسلَمِيَّ أن يأْتي امرأة الآخر، فإن اعترفت رَجَمَها، فاعترفت فرجمها.

---

(١) انظر أيضاً صحيح البخاري ٨:٢٠٧ ـ ٢٠٨، ٢١٢، ٢١٤، ٢١٨ ومسلم ٢:٣٦ وسنن أبي داود ٢:٤٦٣ والترمذي ٢:٤٤٣ وابن ماجه ٢:٨٥٢ والدارمي ٢:١٧٧ والمغني لابن قدامة ١٠:١٣٤.

(٢) العسيف: الأجير.

الفصل الثاني
في تسمية من كان يفتي
في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم[1]

ترجم أبو الفرج الجوزي رحمه الله تعالى في «المدهش» (٤٣) فقال: تسمية من كان يفتي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعبدالرحمن بن عوف وابن مسعود وأُبيّ ومعاذ وعمار وحذيفة وزيد بن ثابت وأَبو الدرداء وأَبو موسى وسلمان رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

فائدة لغوية:

ابن طريف: أَفتى العالم: أجابَ، والاسم: الفُتْيَا والفَتْوى. الفارابي: (٤: ٦٣ ـ ٦٤) بضم الفاء مع الياء وفتحها مع الواو، وزاد ابن سيده: الفُتْوَى بالضم مع الواو، قال: والفتح لأهل المدينة. وفي «الصحاح» (٦: ٤٥٢) واستَفْتَيتُ الفقيه في مسألة فأفتاني وتفاتوا إلى الفقيه: إذا ارتفعوا إليه في الفتيا.

الفصل الثالث
ذكر أنسابهم ونبذ من أخبارهم
رضوان الله تعالى عنهم وتحيته

١ ـ **أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه**: تقدم ذكره في باب الخلافة.

٢ ـ **عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه**: تقدم ذكره في باب الوزير.

٣ ـ **عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه**: يأْتي ذكره في باب الرسول.

٤ ـ **علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه**: يأْتي ذكره في باب القاضي.

٥ ـ **عبدالرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه**: يأْتي ذكره في باب الأَمين على الحرم.

---

(١) راجع في أسماء من كان يفتي من الصحابة في عهد الرسول وبعده: رسالة لابن حزم ملحقة بجوامع السيرة ص: ٣١٩ وكذلك التعليقات عليها.

٦ ــ **عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه**: يأتي ذكره في باب الطهور.

٧ ــ **أُبي بن كعب رضي الله تعالى عنه**: يأتي ذكره في باب الإمامة في قيام رمضان.

٨ ــ **معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه**: يأتي ذكره في باب القاضي.

٩ ــ **عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنه**: في «الاستيعاب» (١١٣٥): عمار ابن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن حصين[١] العَنْسي ثم المَذْحِجي، يكنى أبا اليقظان، حليف لبني المخزوم، وكان عمار وأمه سُميَّة ممن عُذِّبَ في الله، ثم أعطاهم عمار ما أرادوا بلسانه، واطمأن بالإيمان قلبه، فنزلت فيه ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمانِ﴾ (النحل: ١٠٦) وهذا مما أجمع أهل التفسير عليه. وهاجر إلى أرض الحبشة، وصلَّى للقبلتين، وهو من المهاجرين الأولين، ثم شهد بدراً والمشاهد كلها. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن عمَّاراً مُلِيء إيماناً إلى مُشَاشِهِ[٢] ويروى: إلى أخمص قدميه. (١١٣٨) ومن حديث خالد بن الوليد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من أَبغضَ عماراً أَبغضَهُ الله، قال خالد: فما زلت أُحبُّهُ من يومئذ. ومن حديث عليّ بن أبي طالب قال: جاء عمار يستأْذنُ على النبي صلى الله عليه وسلم يوماً، فعرف صوته فقال: مرحباً بالطَّيِّب المُطَيَّب، إيذنوا له[٣] وفضائله المروية كثيرة يطول ذكرها. (١١٣٩) وعن عبدالله بن سلمة قال: لكأني أَنظر إلى عمارٍ يومَ صفّين، واستَسْقَى فأُتِي بِشَربةٍ من لبنٍ فشرب فقال: اليومَ ألقى الأَحبةَ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلَيَّ أن آخر شَرْبَةٍ أَشربُها من الدنيا شربةٌ من لبن، ثم استسقى فأَتته امرأة طويلةُ اليدين بإناءٍ فيه ضَياحٌ[٤] من لبن، فقال عمار حين شربه: الحمد لله، الجنة تحت الأَسنة، ثم قال: والله لو

---

(١) م: حضين.

(٢) الحديث في ابن ماجه ١: ٥٢ والنسائي ٨: ١١١.

(٣) ورد أيضاً في ابن ماجه ١: ٥٢.

(٤) الضياح: اللبن الخاثر يخلط بالماء ويشرب.

ضربونا حتى يبلغُوا بنا سَعَفاتِ هَجَر لعلمنا أن مصلحتنا على الحق وأَنهم على الباطل، ثم قاتل حتى قُتِلَ، رحمه الله تعالى.

قال أبو عمر (١١٤٠) رحمه الله تعالى: وتواترت الآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: تقتلُ عماراً الفِئَةُ الباغيةُ، وهو من إخباره بالغيب، وأَعلامِ نبوته ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهو من أصحِّ الأحاديث. وكانت صفين في ربيع الآخر سنة سبع وثلاثين، ودفن في ثيابه ولم يُغْسل، وكان سنّ عمارٍ يومَ قتل نَيِّفاً على تسعين سنة، فقيل إحدى وتسعين سنة، وقيل اثنتين وتسعين، وقيل ثلاثاً وتسعين. انتهى.

فائدة لغوية:

قوله: لعلمنا أن مصلحتنا على الحق، وأنهم على الباطل، هكذا وجدته بالصاد في جميع ما طالعته من نسخ «الاستيعاب» ولا علمت له وجها. وذكر ابن الأثير القصة في تاريخه (٣: ٣٠٨) فقال: لعلمنا أنا على الحق، وأنهم على الباطل، ولم يقل: مصلحتنا[1]، ولولا ثبوته بالصاد في جميع ما طالعته من النسخ لقلت إنه مصحف من المَسْلَحةِ بالسين: وهم القومُ يحرسون الثغرَ المصاقبَ للعدوّ. وفي «المحكم» (٣: ١٤١) المسلحة: قوم في عُدَّةٍ بموضع مرصدٍ وُكلوا به بإزاء ثغر، واحدهم مَسْلَحِيٌّ، وهو أيضاً الموكل بهم والمُؤَمَّر، والمسالح: مواضع المخافة.

١٠ ــ **حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنه**: يأْتي ذكره في باب كاتب الجيش.

١١ ــ **زيد بن ثابت [رضي الله تعالى عنه]**: يأْتي ذكره في باب كاتب الرسائل.

١٢ ــ **أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه**: قال أبو عمر في «الاستيعاب» (١٢٢٧) هو مشهور بكنيته (وذكر في اسمه وفي نسبه خلافاً كثيراً أضربتُ عنه). ونقلتُ نسبه من كتاب «التاريخ» للبخاري (٧: ٧٦) رحمه الله تعالى من باب عُويمر.

---

(١) الاستيعاب: مصلحينا.

وعُوَيمر بن زيد بن قيس بن أُمية بن عامر بن عدي بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج من بلحارث بن الخزرج[1]؛ نسبه إبراهيم بن المنذر[2].

وقال أبو عمر ابن عبدالبر في «الاستيعاب» (١٢٢٧) (١٦٤٦): شهد أُحُداً وما بعدها من المشاهد، وقيل إنه لم يشهد أُحداً لأنه تأخر إسلامه قليلاً، كان آخر أهل داره إسلاماً وحسن إسلامه، وكان فقيهاً عاقلاً حكيماً.

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: حكيم أُمتي أبو الدرداء عُويمر. وعن عبدالرحمن الحجري[3] قال، قال أبو ذر لأبي الدرداء: ما حملت ورقاءُ ولا أَظلَّتْ خضراءُ أعلم منك يا أبا الدرداء. وروى أبو إدريس الخولاني عن يزيد بن عَميرة[4] قال: لما حضرت الوفاةُ معاذَ بن جبل، قيل له يا أبا عبدالرحمن[5] أَوْصِنا فقال: التمسوا العلم عند عُوَيْمرٍ أبي الدرداء فإنه من الذين أُوتوا العلم.

وقيل لأبي الدرداء: مالك لا تقول الشعرَ وكلُّ لبيبٍ من الأنصار قال الشعر؟ فقال: وأنا قد قلت شعراً، فقيل: وما هو؟ فقال: [من الوافر]

يريد المرءُ أن يُؤتى مناه ... ويأبى الله إلا ما أَرادا
يقول المرءُ فائدتي ومالي ... وتقوى الله أَفضلُ ما استفادا

وقال أبو عمر ابن عبدالبر (١٢٢٩): وله حكمٌ مأْثورة مشهورة، منها قوله ووصف الدنيا فأَحسن، الدنيا دارُ كَدَرٍ، ولن ينجوَ منها إلا أَهلُ الحذر، ولله فيها علاماتٌ يسمعها الجاهلون، ويعتبر بها العالمون، ومن علاماته فيها أَن حفَّها

---

(١) من بلحارث بن الخزرج: من م وحدها، وهو موافق لما في تاريخ البخاري.

(٢) إبراهيم بن المنذر الحزامي أبو إسحاق روى عنه البخاري وابن ماجة وتوفي سنة ٢٣٦ (تهذيب التهذيب ١: ١٦٦).

(٣) يريد عبدالرحمن بن حجيرة الخولاني، كان قاضياً بمصر في ولاية عبدالعزيز بن مروان وتوفي سنة ٨٠، أو سنة ٨٣ (تهذيب التهذيب ٦: ١٦٠).

(٤) ط: عمير؛ وهو يزيد بن عميرة الزبيدي الحمصي ثقة من كبار التابعين (تهذيب التهذيب ١١: ٣٥١).

(٥) ط: يا أبا عبدالله.

بالشبهات، فارتطم فيها أَهلُ الشهوات، ثم أَعقبها بالآفات، فانتفع بذلك أَهلُ العظاتِ، ومزج حلالَها بالمؤونات، وحرامها بالتبعات، فالمثري فيها تَعِبٌ، والمقلُّ فيها نَصِب.

قال أَبو عمر (١٢٣٠): ولَّاه عمر قضاء دمشق وقيل ولاه معاوية قضاء دمشق وقيل بل ولاه عثمان والأَمير معاوية. قال: وقد توفي بدمشق سنة إحدى وثلاثين، وقيل سنة اثنتين وثلاثين، وقيل سنة ثلاث وثلاثين، وقيل سنة أَربع وثلاثين. انتهى.

فائدتان لغويتان:

الأُولى: قوله: ما حملت ورقاء ولا أَظلت خضراء، قلت: أَراد بالورقاء هنا: الأرض، وبالخضراء: السماء؛ كما قالوا: ما أَقلَّتِ الغبراءُ، ولا أَظلَّتِ الخضراء. وفي «المشارق» (٢: ٢٨٣)الوُرقة من الألوان في الإبل التي تضرب إلى الخضرة كلون الرماد، وقيل غبرة تضرب إلى السواد.

الثانية: قوله «فارتطم فيها» في «الصحاح» (٥: ١٩٣٤): رطمتُه في الوحل رطْماً فارتطم هو أي: ارتبك فيه، وارتطم عليه أَمرٌ إذا لم يقدرْ على الخروجِ منهُ.

١٣ ــ أبو موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه: في «الاستيعاب» (٩٧٩) عبدالله بن قيس بن سُليم بن حضار بن حرب بن عامر الأَشعري: أبو موسى: ذكر الواقدي: أَن أَبا موسى قدم مكةَ فحالف سعيد بن العاص بن أُمية أَبا أَحيحة، وكان قدومه مع إخوته في جماعة في الأَشعريين، ثم أَسلم وهاجر إلى أَرض الحبشة. وقال ابن إسحاق: هو حليفُ آلِ عتبةَ بن ربيعة، ذكره فيمن هاجر من حلفاء بني عبدشمس إلى أَرض الحبشة. وقالت طائفة من أَهل العلم بالنسب والسير: إن أَبا موسى لما قدم مكة مع سعيد بن العاص انصرف إلى بلاد قومه، ولم يهاجر إلى أَرض الحبشة، ثم قدم مع إخوته فصادف قدومُهُ قدومَ السَّفِينَتين من الحبشة.

قال أبو عمر ابن عبدالبر (٩٨٠): الصحيحُ أَن أَبا موسى رجع بعد قدومه مكة، ومحالفتِهِ مَنْ حالفَ من بني عبدشمس إلى أَرض قومه، فأَقام بها حتى قدم مع

الأشعريين في نحو خمسين رجلاً في سفينة، فألقتهم الريح إلى النجاشي بأرض الحبشة، فوافقوا خروجَ جعفرٍ وأصحابه منها فأتوا معهم. وقدمت السفينتان معاً: سفينة الأشعريين، وسفينة جعفر وأصحابه على النبي صلى الله عليه وسلم في حين فتح خيبر.

وقد قيل إن الأشعريين إذ رمتهم الريحُ إلى النجاشِيّ أقاموا بها مدة، ثم خرجوا في حين خروج جعفر، فلهذا ذكره ابن إسحاق فيمن هاجر إلى أرض الحبشة، والله تعالى أعلم. وكان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن، قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد أُوتي أبو موسى مزماراً من مزامير آل داود.

ولما دفع أهل الكوفة سعيدَ بن العاص ولَّوا أبا موسى، وكتبوا إلى عثمان يسألونه أن يُوَلِّيَه فأقرَّه عثمان على الكوفة وعزله عليٌّ عنها، فلم يزل واجداً منها على عليٍّ حتى جاء منه ما قال حذيفة فيه؛ فقد رُويَ فيه لحذيفة كلام كرهت ذكره، والله يغفر له. ثم كان من أمره يوم الحكمين ما كان، ومات بالكوفة في داره بها، وقيل إنه مات بمكة سنة أربع وأربعين، وقيل سنة خمسين، وقيل سنة اثنتين وخمسين، وهو ابن ثلاث وستين سنة. انتهى ما نقل من الاستيعاب.

تنبيه:

قال أبو علي الغساني: حضَّار في نسب أبي موسى ـ مشدد الضاد مفتوح الحاء أكثر من حِضار بالتخفيف والكسر ـ نقلته من طرة بخطه في «الاستيعاب» الذي بخطه أيضاً.

١٤ ـ سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه: في «الاستيعاب» (٢٣٤) سلمان الفارسي أبو عبدالله، يقال إنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويعرف بسلمان الخير، أصله من فارس من رام هرمز من قرية يقال لها جَيّ، وقيل كان من أصبَهان، وكان إذا قيل له: من أنت؟ قال: أنا سلمان ابن الإسلام من بني آدم، وكان سلمان يطلبُ دينَ الله، ويتْبع من يرجو ذلك عنده، فدان بالنصرانية وغيرها، وقرأ الكتب، وصبر في ذلك على مشقات نالته. وذكر أبو عثمان النهدي عن

سلمان: أنه تداوله في ذلك اثنا عشر رباً من رب إلى رب حتى أفضى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومَنَّ الله عليه بالإسلام. انتهى.

روى البخاري رحمه الله تعالى في «صحيحه» (٥: ٩٠) عن أبي عثمان عن سلمان الفارسي: أنه تداوله بضعة عشر من ربّ إلى ربّ. انتهى.

وفي «تاريخ بغداد» (١: ١٦٣) للخطيب: أسلم سلمان رضي الله عنه في السنة الأُولى من الهجرة، وأول مشهدٍ شهده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق، وإنما منعه من حضور ما قبل ذلك أنه كان مُسْترقًّا لقومٍ من اليهود فكاتبهم، وأدَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابته وعُتِق. انتهى.

وقال أبو عمر ابن عبدالبر (٦٣٦) رحمه الله تعالى: روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو كان الدين في الثريا لناله سلمان. وقال صلى الله عليه وسلم: أمرني ربي بحب أربعة، وأخبرني أنه يحبهم: علي وأبو ذر والمقداد وسلمان. وعن عائذ بن عمرو[1] أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر، فقالوا: ما أخذتْ سيوفُ الله من عُنُقِ عدوِّ الله مأخَذهَا، فقال أبو بكر: تقولون هذا لشيخ قريشٍ وسيدهم؟ وأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره، فقال: يا أبَا بكر لعلك أغضبتهم؟ لئن كنتَ أغضبتهم لقد أغضبتَ ربك، فأتاهم أبو بكر فقال: يا إخوتاه أغضبتكم؟ قالوا: لا يا أبا بكر، يغفرُ الله لك.

وذكر ابن إسحاق في «السير» (٢: ٢٢٤) أن سلمان رضي الله تعالى عنه أشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعمل الخندق على المدينة حين حاصَرَهُ الأحزابُ، وأن المهاجرين قالوا: سلمانُ منا، وقالت الأنصار: سلمان منا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: سلمان منا أهلَ البيت.

وعن علي رضي الله تعالى عنه أنه قال: سلمان الفارسي مثل لقمان الحكيم.

---

(١) أورده مسلم ٢: ٢٦٥.

وعنه رضي الله تعالى عنه أنه سئل عن سلمان قال: عَلِمَ العلمَ الأولَ والآخر، بحرٌ لا يُنْزَف، هو منَّا أهلَ البيت.

(٦٣٦) وقال أبو هريرة: سلمان صاحب الكتابين، قال قتادة: يعني: الإنجيل والفرقان.

(٦٣٧) وقال كعب الأحبار: سلمان حُشِيَ علماً وحكمةً.

(٦٣٥) قال أبو عمر: كان خيراً فاضلاً، حبراً عالماً، زاهداً متقشفاً.

وعن الحسن[1]: كان عطاء سلمان خمسة آلاف، وكان إذا خرج عطاؤه تصدق به، ويأكلُ من عمل يده، وكانت له عباءةٌ يفترشُ بعضَها ويلبسُ بعضها.

وعن مَعْمَرٍ عن رجل من الصحابة قال: دخل قوم على سلمان رضي الله تعالى عنه وهو أمير على المدائن، وهو يعمل هذا الخوص، فقيل له: لم تعمل هذا وأنت أمير يجري عليك رزقٌ؟ فقال: إني أحبُّ أن آكلَ من عمل يدي. انتهى.

وقال الخطيب في «تاريخ بغداد» (١:١٦٣): ولم يزل سلمان بالمدينة حتى غزا المسلمون العراق فخرج معهم وحضر فَتْحَ المدائنِ ونزلها حتى مات بها. وقبره الآن معروف ظاهر بقربِ إيوانِ كسرى، وعليه بناء، وهناك خادم مقيم يحفظُ الموضعَ وعمارته والنظر في أمر مصالحه، وقد رأيتُ الموضع وزرتُهُ غيرَ مرة. انتهى.

قال أبو عمر (٦٣٨): توفي سلمان رضي الله تعالى عنه آخر خلافة عثمان سنة خمس وثلاثين، وقيل بل توفي سنة ست وثلاثين في أولها، وقيل توفي في خلافة عمر، والأول أكثر، والله أعلم.

فوائد لغوية في ثلاث مسائل:

الأولى: جَيّ اسم القرية التي كان منها سلمان رضي الله تعالى عنه، ذكرها

---

(١) حلية الأولياء ١:١٩٧ ــ ١٩٨ وصفة الصفوة ١:٢١٧ وزهد بن حنبل: ١٥٠ وطبقات ابن سعد ٤:٨٧ والتذكرة الحمدونية ١:١٤٤ وربيع الأبرار ٤:٣٧٧.

البكريُّ في باب الجيم والياء أخت الواو من كتاب «معجم ما استعجم» (٤١٢) فقال: جَيّ ــ بفتح أَوله وتشديد ثانيه ــ مدينة أَصبهان؛ قال ذو الرمة[1]:

نظرتُ ورائي نَظْرَةَ الشوقِ بعدما بدا الجوُّ من جَيٍّ لنا والدساكرُ

الثانية: قوله: وهو يعمل الخوص، الجوهري (٣:١٠٣٨): الخوصُ ورق النخيل، الواحدة خوصة، وقد أَخوصتِ النخلةُ.

الثالثة: ابن طريف: عَتَق العبدَ عِتْقاً وعَتَاقةً وعَتاقاً، قال الفارابي: بفتح التاء في الماضي وكسرها في المستقبل.

(١) ديوان ذي الرمة: ١٠١٨ والجو: المنبسط من الأرض؛ والدساكر: البيوت.

الباب السادس

في العابر للرؤيا[1]

وإنما جعلت هذا الباب تلو باب المفتي لأنها من قبيل الفتيا، وكذلك سماها الله في قصة ملك مصر، فقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا المَلأ افْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ (يوسف: ٤٣).

ذكر من كان يعبر الرؤيا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ذكر علي بن سعيد الخولاني القيرواني في كتابه «في العبارة»: أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في بعض ما جاء عنه: أَعْبَرُ أُمتي للرؤيا أَبو بكر الصديق، وأَسماء بنت عُمَيْس.

١ ــ **ذكر تعبير أَبي بكر الصديقِ رضي الله تعالى عنه:** روى مسلم (٢: ٢٠٢) رحمه الله تعالى أَن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان يحدِّثُ أَن رجلاً أَتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إِنِّي رأَيتُ الليلةَ في المنام ظُلَّةً تنطفُ السمنَ والعسلَ فأرى الناسَ يتكفَّفون [منها] بأيديهم فالمُسْتَكْثِرُ وَالمُسْتَقِلُّ، وأَرى سبباً واصلاً من السماءِ إلى الأَرض، فأَراك أَخذت به فَعَلَوْتَ، ثم أَخذ به رجل من بعدك فعلا، ثم أَخذ به رجلٌ آخر فعلا، ثم أَخذ به رجلٌ آخر فانقطع به، ثم وُصِلَ له فعلا. قال أَبو بكر: يا رسول الله بأَبي أَنت، لتدعني[2] فلأَعْبُرَنَّها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اعبرها، قال أبو بكر: أَما الظُّلَّةُ فظُلَّةُ الإِسلام، وأَما الذي

---

(١) ممن ألف في طبقات المعبرين الحسين الخلال الحافظ، وقد ذكر في كتابه ٥٥٠٠ معبر وجعلهم ١٥ قسمًا أولهم من الأنبياء والثاني من الصحابة والثالث من التابعين والرابع من الفقهاء والخامس من المذكرين... الخ (التراتيب الإدارية ١: ٦٠).

(٢) مسلم: والله لتدعني.

يَنْطِف من السمن والعسل فالقرآن: حلاوته ولينه، وأَما ما يتكفف الناس من ذلك فالمستكثر من القرآن والمستقل، وأَما السببُ الواصلُ من السماءِ إِلى الأَرض: فالحقُّ الذي أنت عليه تأْخذ به فَيُعْليكَ الله به، ثم يأْخذُ به رجلٌ من بعدك فيعلو به، ثم يأْخذ به رجل آخر فيعلو به، ثم يأخذ به رجلٌ آخر فينقطع به ثم يُوصَلُ له فيعلو به. فأَخبرني يا رسول الله بأَبي أَنت وأُمي أَصبتُ أَم أَخْطأْت؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أَصبت بعضاً، وأَخطأْت بعضاً. قال: فوا الله يا رسول الله لتُحَدِّثَني ما الذي أَخطأَت، قال: لا تقسم.

وذكر علي بن سعيد الخولاني في كتابه «في العبارة»: أَن عائشة رضي الله تعالى عنها رأَت ثلاثةَ أَقمارٍ سقطت في حجرتها، فقصت رؤياها على أَبيها رضي الله تعالى عنه فقال: خيراً يا عائشة؛ فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبر في حجرتها، قال لها: هذا أَحدُ أَقمارِكِ وهو خيرها، ثم صارت ثلاثة: قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبر أَبي بكر وقبر عمر رضي الله تعالى عنهما.

٢ ــ **ذكر تعبير أسماء رضي الله تعالى عنه**: ذكر علي بن سعيد الخولاني في كتابه «في العبارة» أَن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال لها: رَأيت ديكاً أَحمر نقر فِيَّ ثلاث نَقَراتٍ؟ فقالت مبادِرَةً: رجلٌ من العجم يطعنك ثلاثَ طعنات. انتهى.

وقد أَجمع المؤرخون ونقلة الأَخبار أَن أَبا لؤلؤة لعنه الله تعالى، وكان غلاماً للمغيرة ابن شعبة، طعنه طعناتٍ توفِّي منها، واختلف في عددها، فقال أَبو عمر ابن عبدالبر في «الاستيعاب»: (١١٥٤) كانت ستَّ طعنات، وذكر الخولاني أَنها كانت ثلاث طعنات.

تنبيــه:

قد تقدم في التعريف بأَبي بكر رضي الله تعالى عنه في باب الخلافة ما أَغنى عن إِعادته هنا.

وأَما **أسماء بنت عُمَيْس**: فقال ابن حزم في «الجماهر» (٣٩٠): هي أَسماء بنت عُمَيس بن مَعْد بن الحارث بن تيم بن كعب بن مالك بن قحافة.

قال أبو عمر ابن عبدالبر (١٧٨٤) رحمه الله تعالى: كانت أسماء بنت عميس من المهاجرات إلى أرض الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب ــ رضي الله تعالى عنهما ــ فولدت له هنالك محمداً وعبدالله وعوناً. ثم هاجرت إلى المدينة، فلما قتل جعفر بن أبي طالب تزوجها أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنهم، وولدت له محمد بن أبي بكر، ثم مات عنها فتزوجها علي بن أبي طالب فولدت له يحيى بن علي بن أبي طالب، لا خلاف في ذلك، وفي «الاستيعاب» مثل ذلك.

وقال ابن حزم في «جماهره»: وبنو قحافة هؤلاء أهل بيت خثعم.

فوائد لغوية في سبع مسائل:

الأولى: في «الديوان» (٤: ٣٠٧) للفارابي: رأى في الفقه رأْياً، ورأى بعينه الشيء رؤية، ورآه عالماً كذلك، ورأى في منامه رُؤْيا: يرى في المستقبل في جميع ذلك.

الثانية: ابن طريف: عبر الرؤيا ــ بفتح الراء ــ عَبْراً وعِبَارةً: فَسَّرها، مكسورة العين. وفي «محكم» (٢: ٩٣) ابن سيده: عبر الرؤيا: فسرها وأخبر بآخر ما يؤول إليه أمرها.

الثالثة: في «المشارق» (١: ٣٢٨) وقوله: «رَأيت ظُلَّةً تنطُف السمن والعسل» أي سحابة، وتنطِفُ ــ بكسر الطاء وضمها ــ أي تقطر.

الرابعة: في «المشارق (١: ٣٤٦) يتكففون منها أي يأخذون منها بأكفهم.

الخامسة: في «المشارق» (٢: ٢٠٢) قوله: سبباً أي حبلاً، قاله الخشني.

السادسة: في «الاشتقاق» لمحمد بن أبان بن سيّد: عُمَيْس أبو أسماء: فُعَيْل من قولهم: تعامس عن الشيء: إذا تغافل عنه، ويومٌ عَمَاسٌ: شديد في الشر.

السابعة: مَعْد: في نسخة أبي علي الغساني التي بخطه من «الاستيعاب» مضبوط بفتح الميم وسكون العين، وكتب عليه في الطرة أيضاً: قال ابن حبيب: مَعْد: ساكن العين، وهو في سائر نُسَخِ «الاستيعاب»: مَعَدّ بفتحهما وتشديد الدال.

الباب السابع
في الإمام في صلاة الفريضة وفيه خمسة فصول

الفصل الأول
في أن السلطان أحقُّ بالإمامة في الصلاة إلا أن يأذَنَ لغيره في ذلك

روى مسلم (٢: ١٨٦) رحمه الله تعالى عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ولا يَؤُمّ الرجلُ في سلطانه، ولا يُقعَدُ في بيته على تَكْرِمَته إلا بإذنه.

وروى النسائي عن أبي مسعود قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يَؤُمُّ الرجلُ في سلطانه، ولا يُجْلَسُ على تكرمته إلا بإذنه. قال شعبة: فقلت لإسماعيل: ما تكرمته؟ قال: فراشه. في «الإكمال» للقاضي عياض: في هذا الحديث حجةٌ على أن الإمامَ من السلطان أو من جَعَلَ له الصلاةَ أحقُّ بالتقديم حيثُ كان من غيره.

وقال الخطابي: هذا في الجمعات والأعياد لتعلُّقها بالسلاطين، فأما في الصلوات المكتوباتِ فأعْلَمُهم أولاهم.

قال القاضي أبو الفضل عياض: هذا ما لا يُوافَقُ عليه، والصلاةُ لصاحب السلطة حقٌّ من حقه، وإن حضر أفضلُ منه وَأفقه. وقد تقدم الأُمراء من عهد النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ فمن بعدهم على مَنْ تحتَ أيديهم وفيهم الأفضل، وقد ذكر شيوخنا أن الإمامَ على الجملةِ أولى بالصلاةِ دون تفصيل في وجهٍ: انتهى.

وقال القاضي أبو بكر ابن العربي في «أحكام القرآن» (٤: ١٦٣٢): ولايةُ الصلاةِ أصلٌ في نفسها وفرعٌ للإمارة، فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا بعث أميراً كانت الصلاةُ إليه، ولكن لما فسدتِ الولاةُ ولم يكنْ فيهم من تُرْضَى حاله للإمامة بقيت الولايةُ في يده بحكم الغلبة، وَقُدِّمَ للصلاة من تُرْضَى حاله، سياسةً منهم للناس وإبقاءً على أنفسهم، فقد كان بنو أُمية حين كانوا يصلّون بأنفسهم يتحرَّجُ أهلُ الفضلِ من الصلاة خلفهم، ويخرجون على الأبواب فتأخذهم سياطُ الحَرَسِ، فيصبرون عليها حتى يَفِرّوا عن المسجد.

قال القاضي أبو بكر (٤: ١٦٣٢): وهذا لا يلزم بل يُصَلَّى معهم، وفي إعادة الصلاة اختلافٌ بين العلماء، بيانه في كتب الفقه.

فوائد لغوية في أربع مسائل:

الأُولى: الجوهري (٥: ١٨٦٥): أَمَمْتُ القومَ في الصلاة إمامةً، وأْتَمَّ به: اقتدى به، والإمام: الذي يُقْتَدَى به، والجمع: أئمة. ابن القوطية (١: ٤٩) أَمَّ القومَ إمامة: تقدَّمهم، والشيءَ أَمًّا: قَصَدَهُ. الهروي: سُمّي الإمام: لأن الناس يؤمون أَفعالَهُ أي يقصدونها ويتبعونها.

الثانية: قال الجوهري (٣: ١١٣٣) السُّلطان: الوالي، وهو فعلان، والجمع سلاطين، والسلطان أَيضاً: الحجة والبرهان، ولا يجمع لأن مُجْراه مُجْرى المصدر. وفي «المحكم»: السلطان: قدرة الملك، يذكر ويؤنث.

الثالثة: الصلاة من الله عز وجل الرحمة. وفي «الوجيز» (٢: ٢٣) لابن عطية: صلاة الله عز وجل على العبد هي رحمته وبركته. وفي «الغريبين»: وقوله عز وجل: ﴿أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ (البقرة: ١٥٧) المراد بالصلوات الترحم، ونسق الرحمةَ على الصلوات لاختلاف اللفظين، والصلاة من غير الله عز وجل الدعاء. وفي «المشارق»: كصلاةِ الملائكة على ابن آدم كقوله: ما زالت الملائكة تصلّي عليه، وفي «غريب العزيزي»: وكقوله عزَّ وجل: ﴿إِنَّ صَلٰوتَكَ سَكَنٌ لهم﴾ (التوبة: ١٠٣) أي دعاؤك. وفي «المشارق» أيضاً: منه الصلاة على الميت.

وفي «الصحاح» (٦:٢٤٠٣): الصلاة: الدعاء. وفي «المحكم» وصلَّى: دعا، وأنشد البيت الثاني للأعشى ميمون بن جندل، وألحقتُ به الأول من ديوان شعره[1]، وذلك أوضح لمعناه: [من البسيط]

تقول بنتي وقد قَرَّبْتُ مرتحلاً ... يارَبِّ جَنِّبْ أبي الأوصابَ والوَجعا

عليكِ مثلُ الذي صَلَّيْتِ فاغتمضي ... نَوْما فإن لِجَنْبِ المرءِ مُضْطَجَعَا

الرابعة: في «الصحاح (٦:٢٤٠٢): الصلاة واحدة الصلوات المفروضة، وهو اسم وُضِعَ موضع المصدر، تقول: صلَّيْتُ صلاةً ولا يقال: تَصْلِية. وفي «المشارق» (٢:٤٥) واختُلِفَ من أيّ شيءٍ اشتقت الصلاة الشرعية: فقيل من الدعاء. وفي «التنبيهات»: وهو قول أكثر أهل العربية والفقه لما فيها من الدعاء، ثم إن الشرعَ أضاف إلى ما فيها من الدعاء ما شاء الله من ركوع وسجود وأفعال وأقوال (وكمل في اشتقاقها في «المشارق» ثمانيةَ أقوال تركتُها اختصاراً) وفي «المقدمات»: والمشهور أن الصلاة مأخوذةٌ من الدعاء.

الفصل الثاني
في استخلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم
أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه
وكم صلاة صلاَّها أبو بكر

روى مسلم (١:١٢٤) رحمه الله تعالى عن عائشة رضي الله تعالى عنها، قالت: أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أن يصلِّيَ بالناسِ في مرضه، فكان يصلّي بهم.

وروى عن أنس بن مالك (١:١٢٤): أن أبا بكر كان يصلّي بهم في وجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي تُوُفِّي فيه، حتى إذا كان يومُ الإثنين، وهم

(١) ديوان الأعشى: ٧٣.

صفوفٌ في الصَّلاةِ، كشفَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سِتْرَ الحجرةِ، فنظر إلينا وهو قائمٌ كأن وجهَه ورقةُ مُصْحَفٍ، ثم تبسَّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ضاحكاً، قال: فَبُهِتْنَا ونحن في الصلاة من فَرَحٍ بخروج النبي صلى الله عليه وسلم، ونكص أبو بكر على عَقِبَيْه لِيَصِلَ الصَّفَّ، وظَنَّ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خارجٌ للصلاة، فأشار إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده: أن أَتمُّوا صلاتَكُمْ، قال: ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرخى السِّتْرَ، قال: فَتُوُفي رسول الله صلى اللهعليه وسلم من يومه ذلك.

وفي «الدر المنظوم» لأحمد بن محمد بن أحمد اللخمي ثم العَزَفي[1] رحمه الله تعالى: قال ابن حبيب الهاشمي: صلى أبو بكر رضي الله تعالى عنه بالناس في مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم سَبْعَ عَشْرَةَ صلاةً، قال: وكذا روى الدولابيّ.

تنبيه:

قد تقدم ذكر أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه في باب الخليفة.

فوائد لغوية في ثلاث مسائل:

المسألة الأُولى: قوله: رفع سِتْرَ الحجرة: في «الغريبين» كل ما مَنَعْتَ منه فقد حَجَرْتَ عليه، ومنه الحجرة التي يحاط عليها في الدار.

وفي «الروض الأُنف» (٤: ٢٦٧): كانت بيوت النبي صلى الله عليه وسلم تسعة بعضها من جريد مطيّنٍ بالطين وسقفها جريد، وبعضها من حجارة موضوعةٍ بعضها على بعض مسقفةٍ بالجريد أيضاً، وكان لكلِّ بيت حجرة، وكانت حجرته عليه السلام أَكْسِيَةً من شَعر مربوطةً في خَشَبِ عَرْعر. انتهى.

الثانية: قوله «فَبُهِتْنا ونحن في الصلاة»: في «الأَفعال» (٤/١: ١١٧)

---

(١) أبو العباس العزفي سمع الكثير وأجاز له ابن بشكوال، كانت وفاته سنة ٦٣٣؛ (الوافي بالوفيات ٧: ٣٤٩) وذكر الصفدي أن له كتاباً في مولد النبي ولكنه لم يسمِّه.

للسَّرَقُسْطي: بُهِتَ بَهْتاً: دَهِش، وهي لغة القرآن الفصيحة، قال الله عز وجل: ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ (البقرة: ٢٥٨) وفي «ديوان الأدب» (٢: ٢٢٥): بَهِتَ ـ بفتح الباء وكسر الهاء ـ أي دُهِش.

الثالثة: قوله: «ونكص أبو بكر» في «المشارق» (٢: ١٣) أي رجع إلى ورائه.

الفصل الثالث
في ذكر الاختلاف في من كان الإمام حين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة وهو مريض

١ ـ **ذكرُ مارُوِيَ في ذلك من الأحاديث**: روى البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى، والنص للبخاري، (١: ١٧٤)[1] عن عروة عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أن يصلي بالناس في مرضه، فكان يصلّي بهم، قال عروة: فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفسه خِفَّةً، فخرج فإذا أبو بكر يَؤُمُّ الناس، فلما رآه أبو بكر استأْخر، فأشار إليه: أن كما أنتَ، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم حذاء أبي بكر إلى جنبه، فكان أبو بكر يصلي بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والناس يصلون بصلاة أبي بكر. انتهى.

قال أبو سليمان حَمْد بن محمد الخطابي رحمه الله تعالى في «أعلام الحديث» له، ورواه أبو معاوية عن الأعمش عن الأسود عن عائشة أنها قالت: لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم، الحديث.. قالت: فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جلس عن يسار أبي بكر، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلّي بالناس جالساً، وأبو بكر قائماً يَقْتَدِي به، والناسُ يقتدون بأبي بكر.

قال أبو سليمان: ووافق أبا معاوية حفصُ بنُ غياث وعبدُالله بن داود،

(١) قارن بصحيح مسلم (صلاة: ٩٠، ٩٥، ٩٧) ومسند أحمد ١: ٣٥٦.

ومحاضِرُ بن المُوَرع فرووه عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود، قال أبو سليمان: وخالفه شعبةُ فروى عن الأعمش عن إبراهيم عن عائشة: أن النبي صلى الله عليه وسلم صلَّى خلف أبي بكر، قال: وروى شعبة أيضاً عن نعيم أبي هند عن أبي وائل عن مسروق عن عائشة أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم صلَّى خَلْفَ أبي بكرٍ جالساً في مرضه الذي توفي فيه. انتهى.

وروى النسائي (٢:٧٩) رحمه الله تعالى عن مسروق عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن أبا بكر صلَّى بالناس، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالصف. انتهى.

وذكر القاضي أبو الوليد ابن رشد في «البيان والتحصيل» (١:٢٩٨) قول النبيّ صلى الله عليه وسلم: ما مات نبيٌّ حتى يصلّيَ وراءَ رجلٍ من قومه؛ وقال: قد روى مالكٌ هذا الحديثَ عن ربيعة. فصحَّ به أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم إذ خرج في مرضه الذي توفي فيه، وأبو بكر يصلي بالناس، صلَّى خلفه جالساً، ولم يخرج أبو بكرٍ من الإمامة. انتهى.

وروى الترمذي (١:٢٢٦) رحمه الله تعالى عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه خلف أبي بكر قاعداً في ثوبه متوشحاً. انتهى.

قال أبو عيسى: هذا حديثٌ حَسَنٌ صحيح.

وروى النسائي (٢:٧٩) رحمه الله تعالى عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: آخرُ صلاةٍ صلَّاها رسول الله صلى الله عليه وسلم مع القوم، صلَّى في ثوبٍ واحدٍ متوشحاً خلف أبي بكر. انتهى.

٢ ــ **ذكر ما نقل في ذلك عن العلماء**: ذهب الخطابي رحمه الله تعالى في «الأعلام» إلى ترجيح حديث عروة بن الزبير: أن الإمام في تلك الصلاة رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، فإن عروةَ بنَ الزبير يسمع ما يسمعُ من عائشةَ بلا حجابٍ

لِأنها خالته، فأما الأسود ومسروق وغيرهما فيسمعان من وراء حجاب، وباتفاق أبي معاوية وحفص بن غياث وعبدالله بن داود، ومحاضر بن المورع على رواية حديثِ الأعْمش عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة: أن الإمام في تلك الصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومخالفتهم شعبة في روايته عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة: أن الإمام في تلك الصلاة أبو بكر. انتهى.

وقال القاضي عز الدين ابن جماعة في «مختصر السير» له: وصلَّى النبي صلى الله عليه وسلم وراءَ أبي بكر في الصفِّ صلاةً تامة؛ قال[1] ابن حزم[2]. وصلَّى أبو بكر بالناس تلك الأيام بعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه في ذلك، وخرج صلى الله عليه وسلم في بعض تلك الأيام وهو متكىءٌ[3] على عليٍّ والعباس، وقد أخذ أبو بكر في الصلاة بالناس، فقعد ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن يسار أبي بكر، وأبو بكر في موضع الإمام، وصار أبو بكر واقفاً عن يمينه ــ صلى الله عليه وسلم ــ في موضع المأموم، يسمعُ الناسُ تكبيرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلَّى النبيّ صلى الله عليه وسلم بالناس يؤمهم قاعداً وهم خلفه قيام[4]، وهي آخرُ صلاةٍ صلاَّها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس. انتهى.

وقال القاضي أبو الوليد ابن رشد رحمه الله تعالى في «البيان والتحصيل»: (١: ٢٩٩) قد تعارضتِ الآثارُ في ذلك، فجاء في بعضها ما دلَّ على أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم لما خرج في مرضه، وأبو بكر يصلّي بالناس، تأخَّر أبو بكرٍ عن الإمامة وتقدَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلَّى بالناس بقيةَ صلاتهم وهو جالسٌ والقومُ خلفه قياماً، وجاء في بعضها ما دلَّ على أن أبا بكر لم يتأخَّرْ عن الإمامة، وأن رسول الله

---

(١) م: قاله، بهامش ط عن نسخة أخرى: قاله، والأصوب «قال» لأنه ينقل أيضاً ما بعده حتى نهاية الفقرة.

(٢) النقل عن جوامع السيرة: ٢٦٤.

(٣) ابن حزم: متوكىء.

(٤) قيام: لم ترد في جوامع السيرة، وإثباتها يخلق إشكالاً، ولهذا علق بعضهم على هامش ط: ما أظن أن ابن حزم قال هذا، فليراجع نصه، لأنه يذهب إلى خلافه ويوجب القعود خلف الإمام القاعد.

صلى الله عليه وسلم إنما صلَّى مؤتمّاً بأَبي بكر، فمن الناسِ من صَحَّح ما دلَّ منها على أَن النبي صلى الله عليه وسلم كان الإمام، [ورأى ذلك شرعاً لأمته ثم لم ينسخه عنهم ولا اختص به دونهم] فأَجاز إمامةَ المريضِ جالساً بالأَصحَّاءِ قياماً، وهي رواية الوليد بن مسلم عن مالك، ومنهم من صحَّحها، ولم يُجْزِ لأحدٍ بعده إذا كان مريضاً أَن يؤمَّ الأَصحَّاءَ قياماً، وهو المشهورُ من قولِ مالكٍ وأَصحابه، ومنهم من ذهب إلى أَن ذلك كان منه ــ صلى الله عليه وسلم ــ في صلاتين: فكان في الصلاة الأُولى هو الإمامَ، وأْتَمَّ في الثانيةِ بأَبي بكر، فكان فعله في الصلاة الثانية ناسخاً لفعله في الصلاة الأُولى، والتأْويلان قائِمان لمالكٍ من رواية ابنِ القاسم عنه، وعلى هذا التأْويلِ تتخلَّص الآثارُ من التعارضِ، وهو أَولى بالصوابِ، وبالله التوفيق.

الفصل الرابع
في ذكر أَول من اتخذ المنبر

روى البخاري (٣: ٨٠) عن جابر بن عبدالله أَن امرأَة من الأَنصار قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسولَ الله ألا أَجعلُ لكَ شيئًا تقعدُ عليه فإِن لي غلاماً نجاراً؟ قال: إِنْ شِئْتِ، قالت[1]: فعملتُ له المنبر، فلما كان يوم الجمعة قعد النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر الذي صُنِع، فصاحت النخلةُ التي كان يخطبُ عندها حتى كادت أَن تنشقَّ فنزل النبيّ صلى الله عليه وسلم حتى أَخذها فضمَّها إليه، فجعلت تئنُّ أَنينَ الصبيِّ الذي يُسَكَّت حتى استقرَّت، قال: بَكَتْ على ما كانت تسمعُ من الذكر.

قال ابن بشكوال في كتاب «تفسير ما استعجم من غوامض الأَسماء»[2]: اسم هذا الغلام النجار مينا. قال: ويقال إِن الذي صنع المنبر للنبي صلى الله عليه

---

(١) البخاري: قال.

(٢) ذكره بروكلمان (في التاريخ ١: ٣٨٠ والتكملة ١: ٥٨٠) باسم كتاب الغوامض والمبهمات من الأسماء؛ ويسمى أيضاً غوامض الأسماء المبهمة الواقعة في متون الأحاديث المسندة.

وسلم باقوم[1] مولى العاصِ بن أُمية، صنعه من طرفاء ثلاثَ درجات، فلما قدم معاوية المدينة زاد فيه، فَكُسِفَتِ الشمسُ يومئذٍ. قال: وقيل صنعه ميمون النجار. قال: وقيل صنعه صباح غلام العباس بن عبدالمطلب.

وذكر ابن فتحون قبيصةَ المخزوميَّ في كتابه وقال: هو الذي عمل غلامُهُ منبرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وفي «المقدمات» لابن رشد: وفي سنة سبعٍ اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم المنبر، ويقال في سنة ثمان؛ عمله له غلامٌ لسعدِ بن عبادة، وقيل غلام لامرأَة من الأَنصار، وقيل غلامٌ للعباس بن عبدالمطلب. قال ابن رشد: فلعلهم اجتمعوا كلهم على عمله. انتهى.

وقال ابن جماعة في «مختصر السير»: عمل المنبر في سنة ثمان، وكان درجتين ومجلساً. انتهى.

فائدة لغوية:

من «مختصر الزاهر»[2] قال ثعلب: سُمِّي المنبر لعلوه وارتفاعه، أُخذ من النبر، وهو ارتفاعُ الصوت، يقال: نبر الرجل نبرةً: إذا تكلم كلمةً فيها علو. انتهى.

الفصل الخامس
في ذكر أَول من اتخذ المقصورة

أَول من اتخذ المقصورة: معاوية بن أَبي سفيان، قال ابن قتيبة في «المعارف» (٥٥٣): لِأنه أَبصر على منبره كلباً.

وقال المبرد في «الكامل» (٣: ١٩٦، ٢٠١ ـ ٢٠٢): نظرت الخوارج في أَمرها فقالوا: إن عليّاً ومعاوية قد أَفسدا أَمرَ هذه الأُمة، فلو قتلناهما لعاد الأَمر إلى حَقِّه،

---

(١) م ط: باقول.

(٢) هو في الزاهر ١: ٥٢٦.

فقال رجل من أَشْجَع: والله ما عمرو دونهما وإنه لَأصلُ هذا الفساد. فقال عبدالرحمن بن مُلْجم: أنا أَقتل علياً، وقال الحجاج بن عبدالله الصريمي، وهو البُرَكُ: أنا أَقتلُ معاوية، وقال زَاذَوْيه مولى بني العنبر بن تميم: أنا أَقتل عَمْراً. فأَجمع رأيهم على أَن يكون قتلُهم في ليلة واحدة، فجعلوا ذلك ليلةَ إحدى وعشرين من شهر رمضان، فخرج كلُّ واحد منهم إلى ناحيته، فأَما ابن مُلجم فقتل علياً بالمسجد وهو خارجٌ لصلاةِ الصبح، وأَما الحجاج بن عبدالله الصريمي فإنه ضرب معاوية مُصَلِّياً فأَصاب مأْكَمَتَيْه، وكان معاوية عظيمَ الأَوراك، فقطع منه عِرْقاً يقال له عِرقُ النكاح، فلم يُولَدْ لمعاويةَ بعد ذلك، فلما أُخِذَ قال: الأَمان والبشارة قُتِلَ عليّ في هذه الصبيحة، فاستؤني به حتى جاء الخبر، فقطع معاوية يده ورجله، فأَقام بالبصرة، ثم بلغ زياداً أَنه قد ولد له فقال: أَيولَدُ له وأَميرُ المؤمنين لا يولد له؟ فقتله. ويروى أَن معاويةَ قطع يديه ورجليه وأَمر باتخاذ المقصورة، فقيل لابن عباس بعد ذلك: ما تأْويلُ المقصورة؟ فقال: يخافون أَن يبهضهم الناس. وأَما زَاذَوَيْه فإنه أَرْصَد لعمرو، واشتكى عمرو بطنه فلم يخرجْ للصلاةِ، فخرج خارجةُ وهو رجلٌ من بني سهم بن عمرو بن هُصيص، رهطِ عمرو بن العاص، فضربه زاذويه فقتله، فلما دُخِل به على عمرو فرآهم يخاطبونه بالإمرة قال: أَنا قتلت عمراً، قيل إنما قتلت خارجة، قال: أَردتُ عمراً وأَراد الله خارجةً. (وهذا السبب في اتخاذ معاوية المقصورة أَصحُّ مما قاله ابن قتيبة وأَنسبُ، ونقلته مختصراً).

فائدة لغوية:

في «الصحاح: (٥:١٨٦٣) المَأْكَمَةُ: العَجِيزَة والجمع: المآكِمُ، وفي «الديوان»: بفتح الميم والكاف.

تنبيه:

ليس خارجة من بني سهم بن عمرو بن هُصيص[1] كما ذكر المبرد، وإنما

---

(١) ط: سهم بن هصيص.

هو من بني عديّ بن كعب، رهط عمر بن الخطاب، وفيهم ذكره أَبو عبيد القاسم بن سلام في «جماهر[1] الأَنساب» (٩) له فقال: خارجة بن حذافة بن غانم[2] قاضي عمرو بن العاص بمصر الذي قتله الخارجي وهو يظن أَنه عمرو بن العاص، وقال ابن حزم في «جماهر[1] الأَنساب» (١٥٦) له أَيضاً: هو خارجة بن حذافة بن غانم[2] بن عامر بن عبدالله بن عُبَيْد بن عُوَيْج بن عدي بن كعب الذي قتله الحروريّ بمصر وهو يظنه عمرو بن العاص، فلما عرف من قتل قال: أَردت عمراً وأَراد الله خارجة، فأَرسلها مثلاً. انتهى.

---

(١) م: جماهير.

(٢) ـ (٢) سقط من ط (لتشابه النهايتين).

الباب الثامن

في الإمام في صلاة القيام في رمضان، وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول
كيف كان الناس يصلونها
في عهد النبـي صلى الله عليه وسلم
وعهد أَبـي بكر رضي الله تعالى عنه

في «الموطأ» (٨٤) عن عائشة رضي الله تعالى عنها أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلَّى في المسجد ذَات ليلةٍ، فصلَّى بصلاته ناسٌ، ثم صلَّى في القابلة فكثر الناس، ثم اجتمعوا في الليلة الثالثة والرابعة، فلم يخرجْ إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما أَصبح قال: قد رأَيتُ الذي صنعتُم، ولم يمنعني من الخروج إليكم إلا أَني خشيتُ أَنْ تُفْرَضَ عليكم. وذلك في رمضان. وعن أَبـي هريرة رضي الله تعالى عنه أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يُرَغِّبُ في قيام رمضان من غير أَن يأْمُرَ بعزيمة فيقول: مَنْ قام رمضانَ إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدَّمَ من ذنبه. قال ابن شهاب: فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم والأَمرُ على ذلك، ثم كان الأَمر على ذلك في خلافة أَبـي بكر، وصدرٍ من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما.

الفصل الثاني
في جمع عمر رضي الله تعالى عنه
الناسَ في قيام رمضان[1] على إمام

في «الموطأ» (٨٥) عن عبدالرحمن بن عبدالقاري[2] أنه قال: خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في رمضان[1] إلى المسجد، فإذا النَّاسُ أَوزاعٌ مُتَفَرِّقون يصلي الرجلُ لنفسه، ويصلِّي الرجل ويصلي[3] بصلاتِه الرَّهْطُ. فقال عمر: والله إني لَأراني لو جمعتُ هـؤلاء على قارىءٍ واحدٍ لكان أَمثلَ، فجمعهم على أُبيِّ بن كعب رضي الله تعالى عنه. قال: ثم خرجتُ معه ليلةً أخرى والناس يُصَلُّون بصلاةِ قارئهم، فقال عمر: نعمت البدعةُ هذه والتي يَنَامُون عنها أَفضلُ من التي يقومون، يعني آخرَ الليل، وكان الناس يقومون أَوله.

فائدة لغوية:

في «المشارق» (١: ٨١) قوله: نعمت البدعة هذه: كلُّ ما أُحدِثَ بعد النبي صلى الله عليه وسلم فهو بدعة، والبدعة: فعلُ ما لم يُسْبَقْ إليه، فما وافق أَصلاً من السنة يقاس عليه فهو محمود، وما خالف أُصولَ السننِ فهو ضلالة.

الفصل الثالث
في ذكر أُبي بن كعب رضي الله تعالى عنه

في «الاستيعاب» (٦٥) أُبي بن كعب بن قيس بن عبيد [بن زيد][4] بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجّار الأَنصاري المعاوي، يكنى أَبا الطفيل

---

(١) ـ (١) سقط من م.

(٢) ط: عن عائشة بن عبدالقاري؛ وفي الموطأ: عن عبدالرحمن بن عبدالقاري، والقاري نسبة إلى قبيلة «القارة»؛ يروي عن عمر وأبي هريرة وغيرهما وكان عاملاً على بيت المال لعمر وتوفي سنة ٨٥ (تهذيب التهذيب ٦: ٢٢٣).

(٣) الموطأ: فيصلي.

(٤) زيادة من الاستيعاب.

وأَبا المنذر. وعن أَبـي موسى قال: جاء أُبـي بن كعب إلى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما فقال له: يا ابنَ الخطاب، فقال له عمر: يا أَبا الطُّفَيل، في حديث ذكره. وعن أُبـي قال، قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: أَي آية معك في كتاب الله أَعظم؟ فقلـت: ﴿الله لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّوم﴾ (البقرة: ٢٥٥) قال: فضرب صدري، وقال: ليهْنِك العلم يا أَبا المنذر.

قال أَبو عمر: شهد أُبـي بن كعب العقبةَ الثانية، وبايع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فيها، ثم شهد بدراً، وكان أَحدَ فقهاءِ الصحابة وأَقرأَهم لكتاب الله. ورُوِي عن رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم أَنَّـه قال: أَقرأُ أُمّتي أُبـيّ. وعن أَنس أَن النبـيّ صلى الله عليه وسلم دعا أُبيًّا فقال: إن الله أَمَرني أَن أَقرأَ عليك؟ قال: الله سماني لك؟ قال: نعم، فجعل أُبـي يبكي.

قال أَبو عمر: وكان أُبـي بن كعب ممن كَتَبَ لرسول الله صلى لله عليه وسلم الوحيَ قبل زيد بن ثابت ومعه أَيضاً. وعن الواقدي قال: أَولُ مَنْ كَتَبَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمَهُ المدينةَ أُبـي بن كعب، وهو أول من كتب في آخر الكتاب: «وكَتَب فلان».

ومات رضي الله تعالى عنه في خلافة عمر بن الخطاب، فقيل سنة تسع عشرة، وقيل سنة عشرين، وقيل سنة اثنتين وعشرين، وقيل إنه مات في خلافة عثمان سنة اثنتين وثلاثين، والأَكثر أنه مات في خلافة عمر.

فائدة لغوية:

في «المحْكم» الهَنِيءُ (٤: ٢٦): ما أَتاك بلا مشقَّةٍ، وقد هَنِيءَ وهَنُؤَ هناءةً، وهنأَني الطعام وهنأَ لي يهنئُني ويَهنَؤني وهنأَتنيه العافية.

فأَما ما أَنشده سيبويه:

* فـارعَـيْ فـزارةُ لا هـنـاكِ الـمـرتـعُ[1] *

(١) عجز بيت للفرزدق، وصدره: ولت بمسلمة الركاب عشية، انظر سيبويه ٢: ١٧٠ وديوان الفرزدق ١: ٤٠٨.

فعلى البدلِ للضرورة، وليس على التخفيف. وفي «المشارق (٢: ٢٧١): قوله: فهناني، وجاءني الناس يهَنُونِي، ولتهنك توبة الله: يهمز ويسهل قلت: وعليه جاء: ليهنِكَ العلم، مسهّلاً. وقوله: في قصة أُم معبد:

ليهنِ بني كعبٍ مقامُ فتاتهم[1]

مُسَهَّلاً ولا ضرورةَ فيه، كذلك ضبطها أَبوعلي الغساني بخطه في «الاستيعاب».

(١) عجز البيت: ومقعدها للمؤمنين بمرصد (السيرة ١: ٤٨٧).

الباب التاسع
في المؤذن
وفيه خمسة فصول

الفصل الأول
في عدد مؤذني النبي صلى الله عليه وسلم

روى مسلم (١:١١٢) رحمه الله تعالى عن عبدالله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذنان: بلال وابن أُم مكتوم.

قال القاضي عياض رحمه الله تعالى في «الإكمال»: قوله: كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذنان: بلال وابن أُم مكتوم، يعني في وقتٍ واحد، وإلا فقد كان له عليه الصلاة والسلام غيرهما، أَذَّنَ له أَبو محذورة بمكة، ورتَّبَهُ لأذانها ـ صلى الله عليه وسلم ـ وسعدُ القَرَظ أَذَّن للنبي صلى الله عليه وسلم بقباء ثلاثَ مراتٍ، وقال له: إذا لم تر بلالاً فَأَذِّنْ. ولكنْ هذان لزما الأذان له بالمدينة.

فائدة لغوية:

في «التنبيهات» للقاضي عياض: الأَذان: الإعلام، قال تعالى: ﴿وَأَذانٌ من الله ورَسُوله﴾ (التوبة: ٣) قال ابن قتيبة: وَأَصله من الأُذن كأَنه أَودع ما علمه أذنه، فالأَذان: إعلام بدخول الوقت، والاجتماع للصلاة، وأَن الدار دار إيمان، وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا غزا قوماً فإن سمع أَذاناً أَمسكَ وإلا أَغار. ففي معنى الأَذان إعلامٌ بهذه المعاني الثلاثة من شعار الإسلام.

وفي «المحكم»: الأَذان والأَذِين: النداء إلى الصلاة. قال سيبويه: وقالوا: أَذَّنْتُ وآذَنْتُ فمن العرب من يجعلها بمعنى، ومنهم من يقول: أَذَّنْتُ للتصويت

بإعلان، وآذنْتُ: أعلمتُ، والأَذِينُ: المؤذِّنُ، والمِئْذَنَةُ: موضع الأَذانِ وقال اللحياني: هي المنارة، يعني: الصومعة.

الفصل الثاني
في ذكر بلال رضي الله تعالى عنه

في «الاستيعاب» (١٧٨، ١٨٢): بلال بن رباح: المؤذن، من مولَّدي مكة، وقيل من مولَّدِي السراة، واسم أُمه حمامة؛ مولى أَبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما، اشتراه ثم أَعتقه وكان من أَول من أَظهر الإِسلام، وكان صادقَ الإِسلام طاهرَ القلب، وكان يعذَّب، فهانت عليه نفسه في الله، وهان على قومه فأَعْطَوْه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول: أَحَد! أَحَد! وأَخذه أَبو جهل فبطحه على وجهه وسلقه في الشمس فجعل يقول، وقد عمد إلى رحًى فوضعها على بطنه: أَحَد أَحَد. وروي عن قيس قال: اشترى أَبو بكر بلالاً وهو مدفون بالحجارة.

شهد رضي الله تعالى عنه بدراً وأحداً وسائر المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وروى ابنُ وهب وابنُ القاسم عن مالك قال: بلغني أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لبلال: يا بلال إني دخلتُ الجنة فسمعت فيها خشفاً، والخشف: الوطء والحسُّ، فقلت: من هذا؟ قيل: بلال. قال: فكان بلال إذا ذكر ذلك بكى.

وذكر ابنُ أَبي شيبة أَن بلالاً أَذَّن حياةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم أَذَّنَ لِأَبي بكر حياتَهُ، ولم يؤذّن في زمن عمر، فقال له عمر: ما منعك أَن تؤذّن؟ قال: إِني أَذنتُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قُبض، وأَذنت لِأَبي بكرٍ حتى قبض، لِأَنه كان وليَّ نعمتي، وقد سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: يا بلال ليس عملٌ أَفضل من الجهاد. فخرج مجاهداً. ويقال إِنه أَذن لعمر رحمه الله إِذ دخل الشام مرةً، فبكى عمر وغيره من المسلمين.

وذكر ابن المسيب أنه كان يؤذِّنُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلما مات النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يخرجَ إلى الشام، فقال له أبو بكر: بل تكونُ عندنا، فقال: إن كنتَ أعتقتني لنفسك فاحبسني، وإن كنت أعتقتني لله عز وجل فذَرْني أذْهب إلى الله عز وجل، فقال: اذْهبْ إلى الشام فكان بها حتى مات.

قال أبو عمر (١٧٩): مات بدمشق ودُفِنَ عند الباب الصغير بمقبرتها سنة عشرين، وقيل سنة إحدى وعشرين، وهو ابنُ ثلاث وستين سنة، وقيل ابن سبعين سنة. انتهى.

فائدة لغوية:

سلقه: ألقاه على ظهره. قال الجوهري (٤:١٤٩٧): طعنته فسلَقْتُه: إذا ألقيته على ظهره.

الفصل الثالث
في ذكر ابنِ أُمِّ مكتوم رضي الله تعالى عنه

في «الجماهر» (١٧١) لابن حزم: ابن أُم مكتوم مؤذّن رسول الله صلى الله عليه وسلم: هو عمرو بن قيس بن زائدة بن الأصمّ، واسمُ الأصمّ جندب من بني مُعَيْص بن عامر بن لؤي، ونسب إلى أُمه أُم مكتوم، وهي عاتكة بنت عبدالله بن عنكثة بن عامر[1] بن مخزوم، قال: وابن أُم مكتوم ابن خال خديجة أُمّ المؤمنين رضي الله تعالى عنها.

قلت: واختُلِفَ في قول أبي عمر ابن عبدالبر في «الاستيعاب» (١١٩٨): فذكره في باب عمرو، ونسبه كما نسبه ابن حزم، وذكر قرابته أيضاً من أُم المؤمنين خديجة رضي الله تعالى عنها، وذكره في باب عبدالله، وذكر في نسبه خلافاً في الأسماء، إلا أنه لم يخالف في أنه من بني معيص حسبما ذكر في باب عمرو.

---

(١) الجمهرة: عائذ.

قال أبو عمر (٩٩٧): وكان قديمَ الإسلام بمكة، واختلف في وقت هجرته: فقيل: كان ممن قدم المدينة مع مُصعب بن عمير قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال الواقدي: قدمها بعد بدر بيسير فنزل دارَ القُرَّاء، واستخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة ثلاث عشرة مرة في غزواته، وأما رواية قتادة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم استخلف ابن أُم مكتوم على المدينة مرتين، فلم يبلغه ما بلغ غيره. انتهى.

وفي «الموطأ» (٦٠) عن سالم بن عبدالله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن بلالاً ينادي بليل، فكلوا واشربوا حتى ينادي ابنُ أُمّ مكتوم. قال: وكان ابن أُم مكتوم رجلاً أعمى لا ينادي حتى يقال له أصبحت [أصبحت]. انتهى.

قال أبو عمر ابن عبدالبر (١١٩٩): وشهد القادسيةَ، وكان معه اللواء يومئذٍ، وقُتِلَ شهيداً بالقادسية. وقال الواقدي: رجع ابن أُمّ مكتوم من القادسية إلى المدينة فمات، ولم يُسْمَعْ له بذكر بعد عمر بن الخطاب. انتهى.

فائدة لغوية:

في كتاب «الاشتقاق» لمحمد بن أبان بن سيِّد: بنو عَنْكَثَة في بني مخزوم من العكث والنون زائدة، والعكث خلط الشيء بالشيء. وفي «ديوان الأدب» (٢: ٢٣): العَنْكَثُ بفتح العين والكاف وبينهما نون ساكنة، وبعد الكاف ثاء مثلثة: نبت، قال: [من الرجز]

* وعَـنْـكَـثـاً مُـلْتـبـدا[1] *

الفصل الرابع
في ذكر أبـي مَـحْذورة رضي الله تعالى عنه

في «الاستيعاب» (١٧٥١، ١٧٥٢) أبو محذورة المؤذّن القرشي الجمحي، اختلف في اسمه: فقيل سمُرة، وقيل مِعْير، وقيل سلمة، وقيل أوس، واتفق الزبير

(١) من رجز على لسان الضبِّ، أوله «أصبح قلبي صردا» انظر اللسان (عكث).

وعمه مصعب ومحمد بن إسحاق على أن اسمه أَوس، وهؤلاءِ أَعلمُ بطريقِ أَنساب قريش، قال الزبير: هو أَوس بن مِعْير بن لَوْذان بن سعد بن جُمَح. وفي «الجماهر» (١٥٣) لابن حزم: أَبو محذورة: أَوس بن معير بن لوذان بن سعد بن جمح.

ولاه رسول الله صلَّى الله عليه وسلم الأذانَ بمكة، فتوارثه بعْدُ ولدُهُ إلى انقراضِ آخرهم في أَيام الرشيد، وانقرض جميع عَقِبِ لوذان بن سعد بن جمح، فورث الأذان بمكة عنهم بنو سلامان بن ربيعة بن سعد بن جمح فهو فيهم إلى الآن.

وفي «الاستيعاب» (١٧٥٢): كان أَبو محذورة مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة، أَمره بالأَذان بهَا مُنْصَرَفَهُ من حُنين، وكان سَمِعَهُ يحكي الأذان، فأَعجبه صوته، فأَمر أَن يُؤْتَى به فأَسلم يومئذٍ وأَمره بالأَذان فأَذَّنَ بين يديه، ثم أَمره فانصرف إلى مكة، وأَقرَّه على الأَذانِ بها، فلم يزلْ يؤذِّنُ بها هو وولده، ثم عبدالله بن محيريز ابنُ عمه فلما انقطع وَلَدُ محيريز صار الأَذانُ بها إلى ولد ربيعةَ بن سعد بن جمح.

وأَبو محذورة وابن محيريز من ولد لوذان بن سعد بن جمح. قال الزبير: كان أَبو محذورة أَحسنَ الناسِ أذانا وأَنداهم صوتاً. قال: وأَنشدني عمي مصعب لبعض شعراء قريش في أذان أَبي محذورة[1]: [من الرجز]

أَمَا ورَبِّ الكعبة المستُورهْ ... وما تلا محمدٌ من سورهْ
والنغماتِ من أَبي محذورهْ ... لأفعلنَّ فعلةً مشهورهْ

قال الطبري: توفي أَبو محذورة بمكة سنة تسع وخمسين، وقيل سنة تسع وسبعين، ولم يهاجر ولم يزل مقيماً بمكة حتى مات.

فائدة لغوية:

في «الاشتقاق» لابن سيِّد: لوْذان جد أَبي محذورة: فَعْلان من لاذ يلوذ.

---

(١) هو أبو دهبل الجمحي، والرجز في ديوانه: ٩٩ وأنساب الأشراف ١: ٥٢٦.

الفصل الخامس
في ذكر سعد القرَظ رضي الله تعالى عنه

في «الاستيعاب» (٥٩٣): سعد بن عائذ المؤذن: مولى عمار بن ياسر، المعروف بسعد القرظ، له صحبةٌ، وإنما قيل له: سعد القرظ لأنه كان كلَّما تَجِرَ في شيءٍ وُضِعَ فيه، فتجر في القَرَظِ فربح فيه، فلزم التجارةَ فيه. جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذناً بقباء.

وفي «الاشراف» عن سعد القرظ قال: كان إذا جاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قباء يؤذّن له بلال، فجاء يوماً ليس معه بلال، قال سعد: فرقيتُ على عَذْقٍ فأَذنتُ، فاجتمع الناسُ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا سعد إذا لم تر بلالاً فأَذِّنْ. فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم رأْسه وقال: بارك الله فيك يا سعد. فأَذن سعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم بقباء ثلاثَ مراتٍ.

في «الاستيعاب» (٥٩٤) أَنه كان يؤذن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لِأهل قباء حتى نقله عمر بن الخطاب في خلافته إلى المدينة حين خرج بلالٌ إلى الشام، فأَذن له في المدينة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم، قال: ويقال إنه لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك بلالٌ الأَذان نقله أَبو بكر رضي الله تعالى عنه إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يزلْ يؤذِّنْ فيه إلى أَن مات، وتوارث عنه بنوه الأَذان فيه إلى زمن مالكٍ وبعده أَيضاً. انتهى.

فوائد لغوية في ثلاث مسائل:

الأُولى: في «المحكم» (٦: ٢١٠) القَرَظ: شجرٌ يُدْبَغ به، وقيل هو وَرَقُ السَّلم. وفي «المشارق»: بفتح القاف والراء، وهو صمغُ السَّمُرِ، وقيل القِشْرُ الذي يُدْبَغُ به، وبه سمي سعد القرظ لأنه كان يتجر فيه.

الثانية: الفارابي (١: ١٢٢، ١٩١): العَذْق بفتح العين وسكون الذال: النخلة،

وبكسرها وسكون الذالِ: الكِباسة. انتهى. وفي «الصحاح» (٢: ٩٦٦) الكِباسة بالكسر: العِذق، وهو من التمر بمنزلة العنقود من العنب.

الثالثة: في «الصحاح» (٣: ١٣٠٠) وُضِعَ الرجل في تجارته، وأُوضِعَ على ما لم يسم فاعله فيها: أي خسر، ويقال وُضِعْتَ في تجارتك وأنت موضوع. انتهى.

وفي «المشارق» (٢: ٢٩٠) دخلت المالَ وضيعةً: أي نقص.

الباب العاشر
في المؤقت
وفيه فصلان

الفصل الأول
في أمر النبـي صلى الله عليه وسلم
بلالاً رضي الله تعالى عنه بحفظ الوقت

في «الموطأ» (١٩): مالك عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيَّب أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قفل من خيبَر أَسْرَى، حتى إذا كان من آخر الليل عَرَّسَ، وقال لبلال: اكْلأْ لنا الصُّبْحَ. ونام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأَصحابه، وكلأَ بلالٌ ما قدِّر له، ثم استند إِلى راحلته وهو مقابلُ الفجرِ فغلبته عيناه، فلم يستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بلال ولا أَحدٌ من الركب، حتى ضربتهم الشَّمسُ، ففزع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، فقال بلال: يا رسول الله أَخذ بنَفْسي الَّذي أَخذ بنَفْسِك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اقْتَادُوا، فبعثوا رواحلهمْ واقتادوا شيئاً، ثم أَمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالاً فأَقام الصلاة، فصلَّى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبحَ، ثم قال حين قضى الصلاة: من نسيَ صلاةً فليصلِّها إِذا ذكرها فإِن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه الكريم: ﴿وَأَقِمِ الصَّلٰوةَ لِذِكْرِى﴾ (طه: ١٤).

وخرج «مسلم» (١: ١٨٩) عن سعيد بن المسيب عن أَبي هريرة نحوه إِلا أَنه قال: اكلأْ لنا الليل.

فوائد لغوية في ثلاث مسائل:

الأولى: في «الصحاح» (٢: ٩٤٥) التعريس: نزولُ القومِ في السفر من آخر الليل، يقفون فيه وقفةً للاستراحة ثم يرحلون، وأعرسوا: لغةٌ فيه قليلة، والموضع: مُعَرَّسٌ ومُعْرَسٌ.

الثانية: ابن طريف: كلأتُ الشيء: حرستُهُ، وكَلَأَهُ الله كِلاَءةً وكِلاَءً: حفظه. قال الشاعر[1]: [من المنسرح]

إنَّ سُلَيْمَى واللَّه يكلؤُهَا ضنَّتْ بشيءٍ ما كان يرزؤها

الثالثة: في «التنبيهات»: الوقتُ: المقدار من الزمان، وقال ابن طريف: وَقتَ الشيءَ وقتاً: قدَّره لوقتٍ، وفي «الصحاح» (١: ٢٧٠) وقته فهو موقوتٌ إذا بيَّنَ للفعلِ وقتاً يفعل فيه. وفي «ديوان الأدب» (٣: ٢٤٩، ٢٧٢) وقَتَ يَقِتُ، وَوَقَّتَ بتشديد القاف يُوَقِّتُ توقيتاً: بمعنى، كَقَصَر من الصلاة وقصَّر. وفي «الصحاح» (١: ٢٦٩) الميقات: الوقتُ المضروبُ من الزمانِ للفعل والموضع، يقال: هذا ميقاتُ أَهلِ الشام الذي يحرمون فيه.

تنبيه:

قد تقدم ذكر بلالٍ رضي الله تعالى عنه في باب الأذان قبل هذا فأَغنى ذلك عن إعادته الآن.

الفصل الثاني
في اقتداء المساجد في صلاتهم بمؤذن المسجد الجامع

في «الروض الأُنف» كانت مساجدُ المدينة تسعةً سوى مسجدِ رسول الله صلى الله عليه وسلم، كلُّهم يصلّون بأذانِ بلال؛ كذلك قال بُكَير بن عبدالله بن

---

(١) هو ابن هرمة والبيت في ديوانه: ٤٧ والبيان والتبيين ٢: ٢١٣ وعيون الأخبار ٢: ١٥٨ والعقد ٢: ٤٨٢ وفي ديوانه تخريج كثير.

الأشجّ[1] فيما روى عنه أبو داود في مراسيله، والدارقطني في سننه (٢: ٨٥) فمنها مسجد راتج، ومسجد بني عبدالأشهل، ومسجد بني عمرو بن مبذول، ومسجد جُهَيْنة وأَسلم، وأَحسبه قال: مسجد بني سلمة. وسائرها مذكور في السنن.

وفي «شرح الرسالة»[2] للزناتي: مساجد المدينة عشرة مساجد: مسجد بني النجار وهو مسجد النبي صلى الله عليه وسلم، وهو المؤسس على التقوى وهو الذي أَقام جبريل قبلته، وغيره أَقام النبي صلى الله عليه وسلم قبلتَه وهي: مسجد بني عمرو. ومسجد بني ساعدة، ومسجد بني عبدالأشهل، ومسجد بني سلمة، ومسجد راتج، ومسجد بني زريق، ومسجد غفار، ومسجد أَسلم ، ومسجد جهينة.

---

(١) مدني نزل مصر، كان عالماً ثقة، مختلف في تاريخ وفاته بين ١١٧ ــ ١٢٧ (تهذيب التهذيب ١: ٤٩١).

(٢) يعني رسالة ابن أبي زيد القيرواني في الفقه المالكي وشارحها هو موسى بن علي الزناتي، ذكره ابن القاضي في درة الحجال (٣: ٨) وقال فيه: الزموري المولد والمنشأ نزيل مراكش.

الباب الحادي عشر
في ذكر صاحب الخُمْرَة

روى البخاري (١:١٠٧) رحمه الله تعالى عن ميمونة رضي الله تعالى عنها قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي على الخُمْرَةِ؛ انتهى.

وروى مسلم (١:٩٦) رحمه الله تعالى عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت، قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ناوليني الخُمْرَة من المسجد، قالت: فقلت: إني حائض، فقال: إن حيضَتَكِ ليست في يدك. انتهى.

وروى النسائي (١:١٩٢) عن ميمونة رضي الله تعالى عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضعُ رأسه في حجر إحدانا، فيتلو القرآنَ وهي حائض، وتقوم إحدانا بخُمْرَتِهِ إلى المسجد فتبسطها وهي حائض. انتهى.

فائدة لغوية:

في «المشارق» (١:٢٤٠): الخُمْرَة ـ بضم الخاءِ وسكونِ الميم ـ هي كالحصير الصغير من سَعَفِ النخل، يُضْفَرُ بالسيور ونحوها بقدر الوجه والكفين، وهي أَصغر من المصلَّى، يصلَّى عليها، سُمِّيَتْ بذلك لأنها تسترُ الوجْهَ والكفين من بَرْدِ الأرضِ وحرِّها، فإن كبرت عن ذلك فهي حصير؛ قاله أبو عبيد. انتهى. وفي «المعالم» للخطابي (١٧١): الخُمْرَة: السّجادةُ التي يَسْجُدُ عليها المصلي.

الباب الثاني عشر

في الذي يحمل العَنَزة

روى البخاري (٢:٢٥)[1] عن نافع عن ابن عمر قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يغدو إلى المصلَّى والعَنَزَةُ بين يديه تُحْمَلُ، وتُنْصَبُ بالمصلَّى بين يديه يصلي إليها.

فائدة لغوية:

في «المشارق» (٢:٩٢) العَنَزَة: بفتح العين والنون. قال الخليل: هي عصا في طرفها زُجٌّ. قال أبو عبيد: قدر نصف الرمح أو أكثر شيئاً فيها سنانٌ مثل سنان الرمح. وقال الأصمعي: العَنَزَة ما دُوِّر نصلُه، والألَّة والحَرْبة: العريضة النصل، وقيل في الحربة: إنها ليست عريضةَ النصل.

---

(١) انظر أيضاً صحيح البخاري ١:١٣٣ في الصلاة إلى العنزة.

الباب الثالث عشر

في السِّرج وهو الموقد

في «الاستيعاب» (٦٨٣) سِراج مولى تميم الداري، قدم على النبي صلى الله عليه وسلم في خمسة غلمان لتميم، روى عنه في تحريم الخمر، وأنه أَسرج في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالقنديل والزيت، وكانوا لا يسرجون قبل ذلك إلا بسعف النخل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أَسرج مسجدنا؟ فقال تميم: غلامي هذا، فقال: ما اسمه؟ قال: فتح، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: بل اسمه سراج. قال: فسماني رسول الله صلى الله عليه وسلم سراجاً[1].

فائدتان لغويتان:

الأُولى: في «ديوان الأدب» (١: ٤٤٥، ٢: ٢٠٢) السراج: الذي يزهر بالليل، وزهرَ السراج يزهَر بفتح الهاء فيهما أي أَضاء. وفي «المحكم» السراج: المصباح، والجمع سُرُج، والمِسْرَجة التي فيها الفتيل، والمَسْرَجَةُ التي تجعل فيها المِسْرَجَة، وأَسرج السراجَ: أَوقد.

الثانية: هو القنديل ــ بكسر القاف ــ كذلك قيَّده الفارابي في الديوان (٢: ٧٦) في الرباعي على وزن فِعليل.

---

(١) ورد الخبر بشكل أكثر تفصيلاً فيما نقله الكتاني (١: ٨٤) وفيه أن غلام تميم الداري هو أبو البراد.

الباب الرابع عشر
في المساجد
وفيه فصلان

الفصل الأول
في تطييب المسجد

روى أَبو داود (١:١٠٨) رحمه الله تعالى عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: أَمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببناء المساجد في الدور وأَن تُطَيَّبَ وتنظَّف.

وروى مسلم (٢:٣٩٥) رحمه الله تعالى عن جابر رضي الله تعالى عنه: أَتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجدنا هذا وفي يده عُرجُون ابنِ طاب فرأَى في قبلة المسجد نُخامة فحكَّها بالعرجون، ثم أَقبل علينا فقال: أَيُّكُم يحبُّ أَن يُعْرِض الله عنه؟ قال: فَخَشَعْنَا، ثم قال: أَيُّكُم يحِبُّ أَن يُعْرِضَ الله عنه؟ قلنا: لا يا رسول الله، قال: فإن أَحدَكم إذا قام يُصَلِّي فإنَّ الله تبارك وتعالى قِبَلَ وَجْهه، فلا يَبْصُقَنَّ قِبَلَ وَجْهِهِ، ولا عَنْ يمينِهِ، وليَبْصُقن عن يسارِهِ تحت رجله اليسرى، فإن عَجِلت به بادِرةٌ فليقل بثوبه هكذا، ثم طوى ثوبَه بَعْضَه على بعض وقال: أَروني عبيراً، فثار فتًى من الحَيِّ يشتدُّ إلى أَهله، فجاء بخَلوقٍ في راحته، فأَخذه صلى الله عليه وسلم فجعله على [رأْس] العرجون، ثم لطخ به على أَثرِ النخامة؛ فقال جابر: فمن هناك جعلتم الخَلوق في مساجدكم. انتهى.

وخرجه أبو داود (١:١١٢) أَيضاً رحمه الله تعالى بمعناه.

فائدتان لغويتان:

الأُولى: في «الصحاح» (٢:٧٣٤) العبير: قال الأَصمعي: هي أَخلاط تجمع

بالزعفران. وقال أبو عبيدة: العبير عند العرب: الزعفران وحده، وفي الحديث: «أَتَعْجِزُ إحداكُنَّ أن تَتَّخِذ تومتين ثم تُلَطِّخُهما بعبيرٍ أو زعفران» وفي هذا الحديث بيان أن العبير غير الزعفران.

الثانية: الخَلوق: ضَرْبٌ من الطيب، وقد خَلَّقْتُهُ أي طيبته بالخَلُوق فتخلَّق

الفصل الثاني
في المُجْمِر

قال القاضي أبو الوليد ابن رشد رحمه الله تعالى في كتاب الجامع من «البيان والتحصيل». روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: جَمِّرُوا مساجدَكُم[1].

وفي «التمهيد»: عبدالله بن المُجْمِر مولى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: كان يجمِّر المسجد إذا قعد عمر على المنبر، وقد قيل إنه كان من الذين يجمرون الكعبة، والأول أصح، وهو والد نُعَيْم بن عبدالله المُجْمِر[2] شيخ مالك بن أنس رحمهما الله تعالى.

فائدة لغوية:

ابن طريف: أَجمرت الشيء بالمِجْمرة: بَخَّرْتُهُ بها. وفي «الصحاح» (٢: ٦١٦) المِجمرَة واحدة المَجامِرِ، وكذلك المِجْمَر والمُجْمَر، فبالكسر اسم الشيء الذي يجعل فيه الجمر، وبالضم: الذي هيءَ له الجمر، يقال: أَجمرتُ النار مِجْمَرًا. انتهى.

---

(١) في ابن ماجه ١: ٢٤٧: وجمروها (أي المساجد) في الجُمَع.

(٢) انظر تجريد التمهيد: ١٨٥ ــ ١٨٦ وقد وردت ترجمة نعيم في تهذيب التهذيب (١٠: ٤٦٥) وفيه عن ابن حبان أن المجمر لقب أبيه عبدالله لأنه كان يأخذ المجمرة: قدام عمر.

الباب الخامس عشر

في الذي يقمّ المسجد ويلتقط الخرق والقذى والعيدان منه

روى أبو داود (١: ١٠٩) رحمه الله تعالى عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: عُرِضَتْ عليَّ أجور أُمتي حتى القذاة يخرجها الرجلُ من المسجد.

وروى مسلم (١: ٢٦٢) رحمه الله تعالى عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن امرأة سوداء كانت تَقُمُّ المسجد أو شاباً، فقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل عنها أو عنه، فقالوا: مات، قال: أفلا كنتم آذنْتُموني؟ قال: فكأنهم صغروا أمرها أو أمره، فقال: دلوني على قبره، فدلوه فصلّى عليه، ثم قال: إنَّ هذه القبور مملوءةٌ ظلمةً على أهلها، وإن الله يُنَوِّرُها لهم بصلاتي عليهم.

فائدة لغوية:

في «المشارق» (٢: ١٨٥) قوله: يقُمُّ المسجد: أي يكنسه ويزيل قمامته، وهي الزبل وما يجتمع فيه، والمِقمَّة: المكنسة.

الباب السادس عشر

في الرجل يأخذ الناس بالصلاة في الجماعة ويشتد عليهم في تركها

روى أَبو داود (١:١٢٩) رحمه الله تعالى عن أَبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد هممتُ أَن آمر فِتْيَتي فيجمعوا حُزَماً من حطب، ثم آتي قوماً يُصَلُّون في بيوتهم ليست بهم عِلَّة فأحرقها عليهم. انتهى.

وروى مسلم (١:١٨١) رحمه الله تعالى عن أَبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن أَثقلَ صلاةٍ على المنافقين صلاةُ العشاءِ وصلاةُ الفجر، ولو يعلمون ما فيهما لَأتوهما ولو حبواً؛ ولقد هممتُ أَن آمرَ بالصلاة فتقام، ثم آمر رجلاً فيُصلِّي بالناس، ثم أنطلق معي برجالٍ معهم حُزَمٌ من حطب إلى قومٍ لا يشهدون الصلاةَ فأحرق عليهم بيوتهم بالنار. انتهى.

وروى البخاري (١:١٦٧) رحمه الله تعالى عن أَبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال، قال النبي صلى الله عليه وسلم: ليس صلاةٌ أَثقل على المنافقين من صلاة الفجر والعِشاء، ولو يعلمون ما فيهما لَأتَوْهُما ولو حبواً، ولقد هممتُ أَن آمر المؤذّنَ فيُقيمَ، ثم آمر رجلاً يَؤمُّ الناسَ، ثم آخُذَ شُعَلاً من النار فأُحَرِّق على من لا يخْرُجُ إلى الصلاة بعد. انتهى.

وذكر الزمخشري في كتاب «الكشاف» (٢:٤٦٣) أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل عتَّاب بن أَسِيد على أَهل مكة وقال: انطلق فقد استعملتك على أَهل الله. فكان شديداً على المريب، هيّناً على المؤمن، وقال: والله لا أَعلم متخلّفاً يتخلف عن الصلاة في جماعة إلا ضربتُ عنقه، فإنه لا يتخلَّفُ عن الصلاة إلا

منافق، فقال أَهل مكة: يا رسولَ الله لقد استعملتَ على أَهل الله عتَّابَ بن أَسيد أَعرابياً جافياً، فقال صلى الله عليه وسلم: إِني رأَيتُ فيما يرى النائم كأَن عتَّاب بن أَسيد أَتى بابَ الجنة فأَخذ بحَلْقَةِ الباب فقلقله قلقالاً شديداً حتى فُتِحَ له فدخلها. انتهى.

فائدة لغوية:

قلقل الباب: في «الصحاح» (٥: ١٨٠٥) قلقل أَي صوَّتَ، وقلقله قَلْقَلَةً وقِلْقالاً فتقلقل، أَي حَرَّكه فتحرَّك واضطرب، فإِذا كسرته فهو مصدر، وإِذا فتحته فهو اسم مثل الزِّلزال والزَّلزال. انتهى.

الباب السابع عشر

في الرجل يمنع الناس من المنازعة واللغط في المسجد

روى الترمذي (١:٢٠٢) رحمه الله تعالى عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن تناشُدِ الأشعارِ في المسجد، وعن البيع والشراء فيه، وأن يتحلَّقَ الناسُ يومَ الجمعةِ قبل الصلاة. انتهى.

وروى[1] مسلم (١:١٥٧) رحمه الله تعالى عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من سمع رجلاً يَنْشُدُ ضالَّةً في المسجد فليقلْ: لا ردَّها الله عليك، فإن المساجدَ لم تُبْنَ لهذا.

وروى النسائي[2] رحمه الله تعالى عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إذا رأيتم من يبتاعُ أو يشتري في المسجد فقولوا: لا أربحَ الله تجارتك، وإذا رأيتم من يَنْشُدُ ضالَّةً في المسجد فقولوا: لا ردَّها الله عليك. انتهى.

وروى البخاري (١:١٢٧) رحمه الله تعالى عن السائب بن يزيد قال: كنت نائماً[3] في المسجد فحصَبني رجل، فنظرتُ فإذا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فقال: اذهب فأْتني بهذين، فجئت بهما، قال: من أنتما؟ أو من أين أنتما؟ قالا: من أهل الطائف، قال: لو كنتما من أهلِ البلد لأوجعتكما، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟!

---

(١) سقطت هذه الفقرة من م.

(٢) انظر النهي عن البيع ونشدان الضالة في النسائي ٢:٤٧، ٤٨.

(٣) البخاري: قائلًا.

وفي «الموطأ» (١٢١) لمالك أنه بلغه أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بنى رحبةً في ناحية المسجد تسمى: البُطَيْحَاء وقال: من كان يريد أن يلغطَ أو يُنشد شعراً أو يرفع صوته فليخرجْ إلى هذه الرحبة.

وفي «الاستيعاب» (٨١١): كان العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم في الجاهلية رئيساً في قريش، وإليه كانت عمارة المسجد الحرام، والسقاية في الجاهلية، فالسقاية معروفة، وأما العمارة فإنه كان لا يدع أحداً يستب في المسجد الحرام، ولا يقول فيه هُجْراً فحملهم على عمارته في الخير، لا يستطيعون لذلك امتناعاً، لِأنه كان ملأ قريشٍ قد اجتمعوا وتعاهدوا على ذلك، فكانوا أعواناً له، وسلَّموا ذلك إليه. انتهى.

فوائد لغوية في ثلاث مسائل:

المسألة الأُولى: في «المحكم» أنشد الشعر، وهم يتناشدون: يُنشد بعضهم بعضاً، والنشيد: الشعر، فعيل بمعنى مُفْعَل، والنشيد من الأشعار: ما يتناشد، وأنشد بهم: هجاهم.

المسألة الثانية: في «المشارق» (٢:٢٨) إنشاد الضالة هو تعريفها، يقال: أَنشَدْتُها: إذا عرَّفتها، فإذا طلبتَها يقال: نشدتُها أَنشُدُها بضمِّ الشين في المستقبل، هذا قول أكثرهم، وحكى الحربي اختلاف أهل اللغة في الناشد والمنشد، ومن قال: إنه بعكس ما قيَّدناه من أن الناشد: المُعَرِّف، والمنشد: الطالب، وحجةُ كلِّ فريق في ذلك من الحديث وشعر العرب.

المسألة الثالثة: قوله: فحصبني: في «الصحاح» (١:١١٢) حصبتُ الرجلَ أَحصِبُه بالكسر، أي رميته بالحصباء، والحصباء: الحصى.

الباب الثامن عشر
في صاحب الطهور
وفيه فصلان

الفصل الأول
في ذكر من كان يتولى ذلك
لرسول الله صلى الله عليه وسلم

روى الترمذي (٥: ٣٣٨) رحمه الله تعالى عن خَيْثمة بن أَبي سَبرة رحمه الله تعالى قال: أَتيتُ المدينةَ فسألتُ الله أَن يُيَسِّر لي جليساً صالحاً، فيسَّرَ ليْ أَبا هريرة رضي الله تعالى عنه، فجلستُ إليه فقلت له: إني سأَلت الله أَن ييسّر لي جليساً صالحاً فوُفِّقْتَ لي، فقال لي: ممن أَنت؟ قلت: من أَهل الكوفة جئتُ أَلتمسُ الخيرَ وأَطلبه قال: أَليس فيكم سعدُ بن مالكٍ مجابُ الدعوة، وابن مسعود صاحبُ طَهورِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ونعليه، وحذيفةُ صاحب سرِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعمّار الذي أَجاره الله من الشيطان على لسان نبيه، وسلمان صاحب الكتابين؟.

قال قتادة: والكتابان[1]: الإنجيل والقرآن.

قال أَبو عيسى: هذا حديث حسن غريب. انتهى.

وروى مسلم (١: ٨٩) رحمه الله تعالى عن أَنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبرزُ لحاجته فآتيهِ بالماء فيغتسل[2] به. انتهى.

---

(١) م ط: والكتابين.

(٢) م: فيتغسل.

وروى البخاري (١: ٥٠) رحمه الله تعالى عن أَنس رضي الله تعالى عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إِذا خرج لحاجته أَجيء أَنا وغلامٌ ومعنا إِداوةٌ من ماء، يعني يستنجي به. انتهى.

فوائد لغوية في ثلاث مسائل:

المسأَلة الأُولى: قوله: صاحب طهور رسول الله صلى الله عليه وسلم: في «الصحاح» (٢: ٣٢٧) طَهر الشيءُ وطَهُر أَيضاً بالضمِّ طهارةً فيهما، والاسم: الطُّهر، وطَهَّرْتُه أَنا تطهيراً، وتطهَّرتُ بالماء، وهم قومٌ يتطهَّرون أَي يتنزَّهون من الأَدناس، والطَّهور: ما يُتَطَهَّر به كالفَطور، والسَّحور، والوَقودِ. قال الله تعالى: ﴿وأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً﴾ (الفرقان: ٤٨) والمَطْهَرة والمِطْهَرة: الإِداوةُ، والفتح أَعلى، والجمع: المطاهر.

المسأَلة الثانية: قوله: يتبرز لحاجته، الفارابي (٢: ٤٤٧): تبرَّز أَي خرج إِلى البَراز أَي لحاجةٍ على وزن فَعال زيد في أَوله تاء مع تكرير العين. وفي «المشارق» (١: ٨٤): البَراز بفتح الباء وآخره زاي، وهو كناية عن قضاءِ حاجة الإِنسان من الغائط، وأَصله من البَرَاز: وهو المتسع من الأَرض، فسمّي به الحدث لِأَنهم كانوا يخرجون لقضاءِ حاجتهم إِليه لخلائِهِ من الناس، كما قالوا: الغائط باسم ما اطمأَن من الأَرض لقصدهم إِياه لذلك.

المسأَلة الثالثة: الإِداوة بكسر الهمزة هي آنية للماء كالمِطْهَرَة، وبكسر الهمزة قيَّدها الفارابي (٤: ١٩٥) وفي «الصحاح» (٦: ٢٢٦٦) الإِداوة: المِطْهَرَة، والجمع: الأَداوَى مثل المطايا. وقال أَبو الفرج الجوزي في «كشف المشكل»: الإِداوة: إِناء من جلود كالرَّكوة.

الفصل الثاني
في ذكر أَنسابهم وأَخبارهم رضي الله تعالى عنهم

١ ــ عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه: في «الاستيعاب» (٩٨٧) و«الجماهر» (١٩٧) لابن حزم: عبدالله بن مسعود بن غافل، قال أَبو عمر: بالغين

المنقوطة والفاءِ، بن حبيب بن شَمْخ بن فار بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل.

وفي «الاستيعاب» (٩٨٧) في باب: عبدالله بن مسعود: وأُم عبدالله بن مسعود أُم عبد بنت عبدِ ودّ بن سواء بن فُريم ــ بالراء ــ بن صاهلة بن كاهل بن هذيلٍ أَيضاً.

وقال في باب النساء منه في باب الكنى (١٩٤٦): أُم عبد بنت سود بن فريم بن صاهلة الهذلية أُم عبدالله بن مسعود؛ كذلك ضبطه أَبو علي الغساني: فريم بالراء في الموضعين بخطه.

قال أَبو عمر (٩٨٧، ٩٨٨): كان إِسلامه قديماً في أَول الإِسلام، وهاجر الهجرتين جميعاً: الهجرةَ الأُولى إِلى أَرض الحبشة، والهجرةَ الثانية من مكة إِلى المدينة، وضمَّه رسول الله صلى الله عليه وسلم إِليه فكان يلجُ عليه ويُلْبِسُهُ نعليه، ويمشي معه وأَمامه ويستُرُه إِذا اغتسل، ويوقظه إِذا نام، وشهد بدراً والحديبية، وشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنَّة. (٩٨٤) وعن عبدالله بن عمرو قال: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: خذوا القرآن من أَربعة: من ابن أُمِّ عبد ــ فبدأ به ــ ومعاذ بن جبل، وأُبي بن كعب، وسالم مولى أَبي حذيفة. ومناقبه، رضي الله تعالى عنه، كثيرة. (٩٩٣) ومات بالمدينة سنة ثنتين وثلاثين، ودُفِنَ بالبقيع، وكان يوم توفي ابنَ بضعٍ وستين سنة.

٢ ــ **أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه**: في «الاستيعاب» (١٠٩): أنس بن مالك بن النَّضْر بن ضَمْضَم بن زيد الأَنصاري النجّاريّ خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، يكنى أَبا حمزة، أُمه أُمُّ سَلَيْم بنت مِلْحان الأَنصارية. قال رضي الله تعالى عنه: قَدِمَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ وأَنا ابن عشر سنين، وتوفي وأَنا ابن عشرين سنة. وقال له مولى له: أَشهدتَ بدراً؟ قال: لا أُمَّ لك، وأَين غبت عن بدر؟ قال محمد بن عبدالله الأَنصاري: خرج أَنس بن مالك مع رسول الله صلى

الله عليه وسلم حين توجَّه إلى بدرٍ وهو غلامٌ يخدمه. (١١١) ويقال إنه قَدَّمَ من صُلْبه ومن وَلَدِ ولده نحواً من مائةٍ قبل موته، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا له فقال: اللهم ارزقه مالاً وولداً وبارك له. قال أَنس: فإني لمن أكثر الأَنصار مالاً وولداً؛ ويقال إنه وُلِدَ له ثمانون ولداً، منهم ثمانية وسبعون ذكراً وابنتان: الواحدة تسمى حفصة، والثانية تكنى أُم عمرو. (١١٠) ومات سنة ثلاث وتسعين وهو ابن مائة وثلاث سنين، وقيل مات ابن مائة وسبع، وقيل ابن مائة وعشر، قال أَبو عمر: وأَصحُّ ما فيه أَنه عُمِّر مائةَ سنة إلا سنة، ومات بقصره بالطفِّ على فرسخين من البصرة، ودفن هنالك.

تنبيــه:

قول أَبي عمر في أَنس: أَنه قَدَّمَ من صلبه ومن ولد ولده نحواً من مائة قبل موته، يُفْهَمُ منه أَنهم ماتوا قبله. وقال ابن حزم في «الجماهر» (٣٥١ ـ ٣٥٢) لم يمتْ أَنسٌ حتى مشى أَمامه مائةُ رجلٍ من ولده، يَرْجِعون بنسبهم إليه من ذكورِ ولده وولدِ ولده خاصة. قال: وله عقبٌ بالبصرة كثير جداً.

الباب التاسع عشر
في صاحب السواك

روى البخاري (٥:٣١) رحمه الله تعالى في باب من أَلقى له وسادة عن إبراهيم قال: ذهب علقمةُ إلى الشام فأَتى المسجدَ فصلَّى ركعتين فقال: اللهم ارزقني جليساً، فقعد إلى أَبي الدرداء فقال: ممن أَنت؟ فقال: من أَهل الكوفة، فقال: أَليس فيكم صاحب السرِّ الذي كان لا يعلمه غيره؟ يعني حذيفة، أَليس فيكم أَو كان فيكم[1] الذي أَجاره الله على لسان رسوله من الشيطان؟ يعني عماراً، أَليس فيكم صاحب السواك؟ يعني ابن مسعود، كيف كان يقرأُ عبدالله ﴿والليل إذا يغشى﴾ قال ﴿والذكر والأُنثى﴾ فقال: ما زال هؤلاء حتى كادوا يشككوني وقد سمعتُها[2] من رسول الله صلى الله عليه وسلم. انتهى.

تنبيــه:

قد تقدم ذكر عبدالله بن مسعود في الباب الذي قبل هذا.

فائدة لغوية:

في «المحكم» ساك الشيء سَوْكاً دَلَكه، وساك فَمَهُ بالعودِ واستاك مشتقٌّ من ساك، واسم العود المِسواك، يؤنَّثُ ويذكَّر، والسِّواكُ كالمسواك، والجمع سُوكٌ،

---

(١) البخاري: أليس فيكم أو منكم.

(٢) البخاري: حتى كادوا يستنزلونني عن شيء سمعته.

قال أَبو حنيفة: وربما همز فقيل: سُؤُك. قال: وأَنشد الخليل لعبدالرحمن بن حسان[1]:[من المتقارب]

أَغَرُّ الثَنايَا أَحَمّ اللِّثا ... تِ تَمْنَحُه سُؤُكَ الإِسْحِلِ

بالهمز، وهذا لا يلزم همزه. انتهى. وقال الجوهري (٤:١٥٩٣): سوَّك فاه تَسْويكاً، وإِذا قلت: استأْكَ بالهمز أَو تسوَّك لم تذكر الفم. انتهى.

(١) ديوان عبدالرحمن بن حسان: ٤٨ واللسان (سوك) والبيت في وصف فرس، والإسحل: شجر تتخذ منه المساويك.

الباب الموفي عشرين

في صاحب الكرسي

وفيه أربعة فصول

الفصل الأول
في اتخاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكرسي

ذكر الدارقطني رحمه الله تعالى في «كتاب العلل» في حديث علي رضي الله تعالى عنه قال: كنت آتي رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كلَّ غَداةٍ، فإذا تنحنح دخلتُ، وإذا سكتَ لم أدخل، قال: فخرج إليَّ فقال: حدث البارحة أَمرٌ: سمعتُ خشخشةً في الدار فإذا أنا بجبريل عليه السلام، فقلت: ما منعك من دخولك؟ قال: إن في البيت كلباً، قال: فدخلتُ فإذا بجروٍ للحسن تحت كرسيٍّ لنا. انتهى.

فائدتان لغويتان:

الأُولى: قوله صلى الله عليه وسلم: سمعت خشخشةً، في «المشارق» (١: ٢٤٧) سمعت خشخشةً أَمامي، أَي صوتَ شيءٍ، وأَصله صوتُ الشيءِ اليابسِ. وأَنشد الأَعلم لعلقمة: [من الطويل]

* كما خَشْخَشَتْ يَبْسَ الحَصادِ جَنُوبُ[1] *

الثانية: الكرسي: في «المشرع الرويّ» هو الذي يُجْلَسُ عليه، وقيل: لا يفضل عن مقعد القاعد. وفي «ديوان الأدب» (١: ١٧٦، ٢٠٢) كُرْسي بضم الكاف، وكِرْسي بكسرها، والراء ساكنة في اللغتين.

---

(١) صدر بيت علقمة: تخشخش أبدان الحديد عليهم، وانظر ديوانه (شرح الأعلم): ٤٥.

الفصل الثاني

في ذكر جلوس النبـي صلى الله عليه وسلم على الكرسيّ

روى مسلم والنسائي رحمهما الله تعـالى، والنص لمسلم (١:٢٣٩) عن حميد بن هلال قال، قال أَبو رفاعة العدوي: انتهيت إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم وهو يخطب: قال، فقلت: يا رسولَ الله رجلٌ غريبٌ جاء يسأَلُ عن دينه، لا يَدْري ما دينه، قال: فأَقبل عليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركَ خطبته حتى انتهى إليَّ، فأُتي بكرسي حسبتُ قوائمه حديداً، قال: فقعد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يُعَلِّمُني مما علمه الله، ثم أَتى خطبته فأَتمَّ آخرها.

الفصل الثالث

في اتخاذ عمر رضي الله تعالى عنه الكرسي

ذكر المبرد في الكتاب «الكامل» (٢:١٩٣ ـ ١٩٤) في قصة الحُطَيئة، حين حبسه عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه لاستعداءِ الزبرقان عليه في هجوه وهجو رهطه وتفضيله بني عمهم عليهم: أَن عمر رضي الله تعالى عنه دعا بكرسيّ فجلس عليه، ودعا بالحطيئة فأَجلسه بين يديه، ودعا بِإِشْفا[1] وشَفْرَةٍ يُوهِمُهُ أَنه عاملٌ على قَطْعِ لسانه حتى ضجَّ من ذلك. فكان فيما قال له الحطيئة: يا أَمير المؤمنين والله لقد هجوتُ أَبي وأُمي وهجوت نفسي، فتبسم عمر ثم قال: فما الذي قلتَ؟ قال: قلتُ لِأبي وأُمي والمخاطبة للأم: [من الكامل]

ولقد رأَيتُكِ في النساءِ فسُؤتني ... وأَبَا بنيكِ فساءني في المجلِس

وقلت لها: [من الوافر]

تَنحَّيْ فـاقعـدي مني بَعِيـداً ... أَراح الله منـك العـالـمينـا
أغـربـالاً إذا استُـودِعْتِ سـراً ... وكـانـونـاً على المتحـدثينـا

وقلت لامرأَتي: [من الوافر]

أُطـوِّفُ مـا أُطَـوِّفُ ثم آوي ... إِلـى بيـتٍ قعَـيـدتُـهُ لَكَـاعِ

---

(١) الاشفا: المخرز.

فقال له عمر: فكيف هجوتَ نفسك؟ فقال: اطَّلعتُ في بئرٍ فرأيت وجهي، فاستقبحته فقلت: [من الطويل]

أَبت شفتايَ اليوم إلا ترنما ... بشرٍّ فما أَدْري لمن أَنا قائِلُه
أَرَى لِيَ وجهاً قبَّح الله خَلْقَه ... فَقُبِّح من وجهٍ وقُبِّحَ حَامِلُهْ

فوائد لغوية في ثلاث مسائل:

الأُولى: قوله: وكانوناً على المتحدثينا. في «ديوان الأدب» (٣:٦١) رجلٌ كانون: يستثقله أَصحابه عند الحديث، وأَنشد الحطيئة يهجو أُمه هذا البيت.

الثانية: قوله قعيدته لكاع. في «المحكم» (١:٩٦) قعيدة الرجل، وقعيدة بيته: امرأَته. وقال الجوهري (٣:١٢٨٠): رجل لكع أَي لئيم، وقيل: هو العبد الذليلُ النفس، امرأَةٌ لكاع مثلُ قطامِ، وأَنشد للحطيئة هذا البيت، قال: ولا يصرف لُكَع في المعرفة لِأنه معدول عن أَلكع، وقد لَكِع لكاعةً فهو أَلكع، والمرأَة لكعاء.

الثالثة: قوله: إلّا ترنما. في «الصحاح» (٥:١٩٣٨): الرَّنَم بالتحريك: الصوتُ، وقد رَنِمَ بالكسر، وترنَّم الطائر في تغريده.

الفصل الرابع
في اتخاذ علي رضي الله تعالى عنه الكرسي

روى النسائي (١:٦٩) عن عبد خير رحمهما الله تعالى قال: شهدتُ علي بن أَبي طالب رضي الله تعالى عنه دعا بكرسيّ فقعد عليه، ثم دعا بماء في تَوْرٍ فغسل يديه ثلاثاً، ثم مضمض واستنشق بكفٍّ واحدةٍ ثلاثاً، ثم غسل وجهه ثلاثاً، وغسل يده اليمنى ثلاثاً، ويده اليسرى ثلاثاً، ومسح برأْسه، ثم غسل رجليه بالماءِ ثلاثاً، ثم قال: من سرَّهُ أَن ينظرَ إِلى وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا وضوءُ رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فائدة لغوية:

في «الصحاح» (٢:٦٠٢) التَّوْر: إِناءٌ يُشْرَبُ فيه؛ ذكره في باب التاء المثناة من فوق.

الباب الحادي والعشرون

في السقاء
وفيه أربعة فصول

الفصل الأول
في أنه كان صلى الله عليه وسلم يُسْتَعْذَبُ له الماء[1]

في كتاب «أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم» (٢٢٧) للأصبهاني رحمه الله تعالى عن عائشة رضي الله تعالى عنها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُسْتَعْذَبُ له الماء من بئرِ السُّقيا، والسُّقيا من أطراف الحَرَّةِ، وفي لفظ آخر: من طَرَفِ الحرة. انتهى.

وروى أبو داود (٢:٣٠٥) رحمه الله تعالى عن عائشة أيضاً رضي الله تعالى عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يُستعذبُ له الماء من بيوت السقيا، قال قتيبة: هي عينٌ بينها وبين المدينة يومان[2].

فائدتان لغويتان:

الأُولى: ابن طريف: سقيتُك شراباً وأسقيتك. وفي «المحكم» (٦:٣٠٢) رجل ساقٍ وسَقَّاء على التكثير من قومٍ سقّائين، والأُنثى: سقّاءة وسقاية.

الثانية: «في معجم ما استعجم» (٧٤٢): السُّقيا بضم السين وإسكان القاف

---

(١) قارن بأنساب الأشراف ١:٥٣٥ ــ ٥٣٦.

(٢) ذكر البلاذري أنه كان يستعذب له الماء من بئر مالك بن النضر ويعرف ببئر أنس ومن بئر غرس ومن بئر اسمها جاسم لأبي الهيثم بن التيهان، وكان يشرب من بئر لقوم من الأنصار تسمى العبيرة فسماها اليسيرة وفي رواية أنها كانت تسمى العسيرة.

بعده الياء أُخت الواو: قريةٌ جامعة وهي في طريق مكة إلى المدينة، وإنما سُمِّيت السقيا لما سقت[1] من الماء العذب، وهي كثيرة الآبارِ والعيونِ والبرك. انتهى.

الفصل الثاني
في ما جاء من أنه صلى الله عليه وسلم كان يُبَرَّدُ له الماء

روى مسلم (٢: ٣٩٦) عن جابر في حديثه الطويل في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم يقولُ فيه، قال: يعني جابراً ـ فأتينا العسكر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا جابر نادِ بوضُوء، فقلتُ: أَلَا وَضُوء؟ أَلا وَضوء ألا وضوء؟ قال، قلتُ: يا رسول الله ما وَجَدْتُ في الرَكْبِ من قَطْرَةٍ، وكان رجل من الأَنصار يُبَرِّدُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم الماءَ في أَشجاب له على حِمَارةٍ من جريد، فقال لي: انْطَلِق إِلَى فُلان الأَنْصَارِيِّ، فانْظُر هل في أَشْجابِهِ من شيء؟ قال: فانطلقتُ إليه فنظرتُ فيها، فلم أَجِدْ فيها إلاّ قطرةً في عزْلاء شَجْبٍ منها لو أَنِّي أُفْرِغُهُ لشربه يابسهُ، قال: اذْهَبْ فأتِني به، فأَتَيْتُه بِهِ فأَخَذَهُ بيَدِه، ثم جعل يتكلمُ بشيء ما أَدري ما هو ويَغْمزُهُ بيده، ثم أَعطَانِيه فقال: يا جابر ناد بِجَفْنَةٍ فقلت: يا جفنةَ الركب فأُتِيتُ بها تُحملُ فوضعتها بين يَدَيْهِ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده في الجفنة هكذا ـ فبسطها وفرَّق بين أَصَابعه ـ ثم وَضَعَها في قَعْر الجفنة وقال: خذ يا جابرُ فَصُبَّ عليَّ وقل: بسم الله، فصببتُ عليه وقلت: بسم الله، فرأَيتُ الماءَ يفور[2] من بين أَصابع يدِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ثم فارَت الجفنةُ ودارت حتى امتلأَتْ، فقال: يا جابرُ نادِ مَنْ كان له حاجةٌ بماءٍ؟ قال: فأَتى الناسُ فاسْتَقَوا حتى رَوُوا، قال: فقال[3] هل بقي أَحَدٌ له حاجة؟ فرفعَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يدَهُ من الجفنة وهي ملأَى. انتهى.

---

(١) ط والبكري: سقيت.

(٢) مسلم: يتفور.

(٣) مسلم: قال فقلت.

فوائد لغوية في ثلاث مسائل:

المسألة الأُولى: قوله: في أَشجاب له على حِمارةٍ من جريد: في «المشارق» (٢: ٢٤٤، ١: ١٤٤) جمع شَجْب ــ بسكون الجيم وفتح الشين ــ وهو ما قدم من القرب، والحِمارة وتسمى الحمار أيضاً: هي الأَعواد التي تعلَّقُ عليها هذه القربة. والجريد: سَعَفُ النخلِ وأَغصانها التي يخرج فيها خوصها.

المسألة الثانية: قوله في عزلاء شجب: في «المشارق» (٢: ٨٠) عَزْلاَءُ المَزَادَةِ: فَمُها الأَسفل، ممدود، وجمعه: عَزَالي.

المسألة الثالثة: في «المشارق» (١: ١٥٩) الجفنة أَعظم القصاع، وهي جَفْنَةُ الطعام ــ مفتوحة الجيم ــ ومعنى قوله: يا جفنةَ الركب، يريد يا هؤلاء الركب احضروا جفنتكم، والركبُ جمعُ راكبٍ.

الفصل الثالث
في ساقي النبي صلى الله عليه وسلم

روى مسلم (٢: ١٣٢)[1] رحمه الله تعالى عن أَنس رضي الله تعالى عنه قال: لقد سقيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بقدحي هذا الشرابَ كلَّه: العسلَ والنبيذَ والماءَ واللبنَ.

الفصل الرابع
في سَقي الماءِ في الغزو

روى البخاري (٤: ٤٠) عن ثعلبة بن أَبي مالك أَن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قسم مُروطاً بين نساء من نِساء المدينة، فبقى مرطٌ جيد، فقال له بعضُ مَنْ عنده: يا أَمير المؤمنين أَعطِ هذا بنتَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم التي عندك، يريدون أُم كلثوم بنت علي، فقال عمر: أُم سليط أَحقّ، وأُم سليطٍ من نساءِ

(١) قارن بمسند أحمد ٣: ٢٤٧ (ولم يرد فيه ذكر النبيذ).

الأنصار ممن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال عمر: فإنها كانت تَزْفر لنا القرب يوم أُحد. انتهى.

وفي «الاستيعاب» (١٩٤٠) أُم سليط: امرأَة من المبايعات حَضَرتْ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أُحد، قال عمر بن الخطاب: كانت تزِفرُ لنا القِرَبَ يومَ أُحد. انتهى.

فائدة لغوية:

«تزفر لنا القرب»: في «المشارق» (١: ٣١٢) أَي تحملها ملأَى على ظهرها تسقي الناسَ منها، والزَّفْر: الحملُ على الظهر، والزِّفر: القِرْبَةُ أَيضاً كلاهما بفتح الزاي وسكون الفاء يقال منه: زفَر وأَزفرَ. وفي «الديوان» (٢: ١٥٥): بكسر الفاء في المستقبل وفتحها في الماضي.

تنبيه:

يأْتي شرح المِرْط في باب الأَلوية من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

الباب الثاني والعشرون

في الإمارة على الحج

وفيه فصلان

الفصل الأول
في ذكر مَنْ وَلِيَ ذلك
في عهد النبي صلى الله عليه وسلم

قال القاضي أبو الفضل عياض رحمه الله تعالى في «الإكمال»: أول من أقام للمسلمين الحجَّ عَتَّابُ بنُ أَسِيد سنة ثمانٍ، ثم أبو بكر رضي الله تعالى عنه سنةَ تسعٍ، وحجَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة عشرٍ. انتهى.

فائدة لغوية:

في «جامع اللغات» يقال: حَجَّ الرجلُ يَحُجُّ حجاً: إذا قصد الشيء، فسمّي الحجّ حجاً لأنه قصدُ البيت، ويقال له: الحِجّ والحَج: لغتان فصيحتان، وقيل: الحج مأخوذ من قولهم: حَجَجْتُ فلاناً أي جئته مرةً بعد مرة، فقيل: حجُّ البيت، لأن الناس يأتونه في كلّ سنة، وقيل: الحجُّ: الزيارة، فقيل: حِجّ البيتِ لأن الناس يزورونه، والحجة ما يلزمُ الإنسانَ من المناسك، وأنكر بعضهم حجة، وقال الفراء: حِجَّة بالكسر ولم أسمع حَجَّة، ولو قالوا: حُجّة مثل مددته مُدَّة كان صواباً.

وفي «المثلث» لابن السيد: الحَجَّة بالفتح قضاءُ نسكِ سنة، وبعضهم يكسرُ الحاء، وفي «المشارق» (١: ١٨١) اسم الحجّ حَجَّة بالفتح، والمرة الواحدة منه حِجَّة بالكسر، ولم تأت فِعْلة بالكسر في المرة الواحدة إلا في هذا الباب، والباب كلّه فَعلة بالفتح. وفي «المحكم» (٢: ٣٣٧) رجل حاجّ، وقوم حُجَّاج وحجيج مثل غازٍ

وغَزِيٌّ، قال: ويجمع على حُجٍّ مثل بازِل وبُزْل. وفي «المشارق» (١: ١٨١) و «المحكم» (٢: ٣٣٧) و «الجامع»: الحِجّ بالكسر: الحُجَّاج وأَنشدوا في الأَخيرين: [من الكامل]

وكأَن عافيةَ النسورِ عليهمُ حِجّ بأَسفلِ ذي المجاز نُزُولُ[1]

تنبيه:

قد تقدم ذكر أَبي بكر رضي الله تعالى عنه في أَول الكتاب في كتاب الخلافة، ويذكر عتاب بن أَسيد في باب الإمارة، فأَغْنَى ذلك عن إعادته هنا.

الفصل الثاني
في حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهي حجة الوداع

قد تقدم في الفصل قبل هذا قولُ القاضي عياض رحمه الله تعالى إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حجَّ سنة عشر.

وقال ابن جماعة في «مختصر السير»: إنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ حجَّ سنة عشر، قال: ووقف معه مائة أَلف وعشرون أَلفاً، قال: وَسُمِيَتْ حجة الوداع لأن النبي صلى الله عليه وسلم خطب الناس فيها وأَوصاهم، وقال: لعلكم لا تروني بعد عامي هذا. وودَّعهم، ولم يحجَّ ــ صلى الله عليه وسلم ــ بعد الهجرة غيرها. انتهى.

فائدة لغوية:

في «الصحاح» (٣: ١٢٩٥): التوديع: عند الرحيل، والاسم: الوَدَاع بالفتح.

---

(١) البيت لجرير، في ديوانه: ١٠٤، والعافية: الغاشية التي تغشى لحومهم.

الباب الثالث والعشرون

في صاحب البدن

روى مالك رحمه الله تعالى في «الموطأ» (٢٦٢) عن هشام بن عروة عن أَبيه: أَن صاحب هَدْيِ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يا رسولَ الله كيف أَصنعُ بما عَطِب من الهدي؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: كلُّ بدنةٍ عَطِبَتْ من الهدي فانحرها، ثم أَلقِ قلائدها في دمها، ثم خَلِّ بينها وبين الناس يأْكلونها. انتهى.

وروى النسائي[1] رحمه الله تعالى عن هشام عن أبيه عن ناجية الخزاعي قال قلت: يا رسول الله كيف أَصنعُ بما عطب من البدن؟ قال: انحرها ثم اغمسْ نَعْلَهَا[2] في دمها، وخلِّ بينها وبين الناس يأْكلونها. انتهى.

تنبيه:

يأْتي ذكر ناجيةَ بن جندب رضي الله تعالى عنه في باب الدليل، إن شاء الله تعالى، في هذا الكتاب.

فائدة لغوية:

البُدْنُ قال الهروي: واحدتها بَدَنة، كما يقال: ثَمَرَة وثُمْر، وسميت بَدَنَة لأنها تبدنُ، والبَدانة: السِّمن. وقال القاضي في «المشارق» (١: ٨٠): وهي مختصة

---

(١) قارن بما ورد في مسند أبي داود ١: ٤٠٨ والترمذي ٢: ١٩٦ وابن ماجه ٢: ١٠٣٦ والدارمي ٢: ٦٥ ومسند أحمد ١: ٢١٧، ٢٧٩.

(٢) ط: من نعلها.

بالإبل. وقال الجوهري: (٥: ٢٠٧٧) البدنة: ناقة أو بقرة تُنْحَرُ بمكة والجمع بُدن ـ بالضم ـ وقال ابن سيده: البَدَنة من الإبل والبقر كالأُضحية من الغنم تُهْدَى إلى مكة، الذكر والأُنثى في ذلك سواء: والجمع: بُدُن وبُدْن، ولا يقال في الجمع: بَدَن، وإن كانوا قد قالوا: خَشَبٌ وأَجَمٌ ورَخَمٌ وأَكَمٌ؛ استثناه اللحياني. وفي «ديوان الأدب» (١: ٢٤٣): البدَنَةُ: بفتح الباء والدال: الناقة والبقرة تنحر بمكة.

الباب الرابع والعشرون

في حجابة البيت وهي العمارة والسدانة أيضًا

وفيه فصلان

الفصل الأول
في ذكر من وليها
في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال أبو محمد عبدالحق بن عطية في «التفسير» (٨: ١٤٩) عمارة البيت، وهي السدانة، وكان يتولاها عثمان بن طلحة بن أبي طلحة، واسم أبي طلحة عبدالله بن عبدالعُزَّى بن عبدالدار، وشيبة بن عثمان بن أبي طلحة ــ المذكور ــ وهذان هما اللذان دفع إليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم مفتاحَ الكعبة في ثاني يوم الفتح بعد أن طلبه العباسُ وعليّ، وقال لعثمان وشيبة: يومُ وفاءٍ وَبِرّ، خذوها خالدةً تالدةً لا ينازعُكُموها إلا ظالم. يعني السدانة. انتهى.

فائدتان لغويتان:

الأُولى: الجوهري: (٥: ٢١٣٥) السادن: خادم الكعبة، والجمع السَّدَنَة، وقد سَدَن يسدنُ بالضم سدْنا وسِدانة. ابن سيده: السَّدْن والسِدانة: الحِجابةُ، والسَّدَنةُ: حُجّاب البيت.

الثانية: التالدة: قال ابن طريف[1]: تلد الشيءُ في يد فلانٍ: أَقام، وفي «الصحاح» تلد فلان في بني فلان: أَقام فيها.

---

(١) م: ابن الطريف.

الفصل الثاني
في ذكر أنسابهم وأخبارهم رضي الله تعالى عنهم

١ ـ **عثمان بن طلحة بن أبي طلحة**: نسبه أبو عمر ابن عبدالبر في «الاستيعاب» (١٠٣٤) فقال: عثمان بن طلحة بن أبي طلحة، واسم أبي طلحة: عبدالله بن عبدالعزى بن عثمان بن عبدالدار بن قصي القرشي العبدري ويقال[١] عثمان بن عبدالعزى بن عبدالدار، ولم يذكره ابن عطية.

وكما نسبه ابن عبدالبر نسبه أبو عبيد القاسم بن سلاَّم(٤)، وابن حزم (١٢٧) في «جماهرهما» بإثبات عثمان بن عبدالعزى وعبدالدار.

قال أبو عمر: (١٠٣٤) هاجر عثمان بن طلحة بن أبي طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت هجرته في هدنة الحديبية مع خالد بن الوليد، فلقيا عمرو بن العاص مقبلاً من عند النجاشيّ يريد الهجرة، فاصطحبوا جميعاً حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآهم: رمتكم مكة بأفلاذ كبدها ـ يقول: إنهم وجوه مكة ـ فأسلموا، ثم شهد عثمان بن طلحة فتح مكة، فدفع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مفتاحَ الكعبة إليه، وإلى شيبة بن عثمان بن أبي طلحة وقال: خذوها يا بني طلحةَ خالدةً تالدة لا ينازعكم فيها إلا ظالم. ثم نزل عثمان بن طلحة المدينة فأقام بها إلى وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم انتقل إلى مكة فسكنها حتى مات بها في أول خلافة معاوية سنة اثنتين وأربعين، وقيل إنه قتل يوم أَجْنَادَين. انتهى.

٢ ـ **شيبة بن عثمان بن أبي طلحة**: قد تقدم إيصال نسبه بقصيّ في نسب ابن عمه عثمان بن طلحة بن أبي طلحة.

وقال أبو عمر في «الاستيعاب» (٧١٢): القرشي العبدري الحجبي المكي. يكنى: أبا عثمان وقيل: أبا صفية، ويعرف أبوه عثمان بن أبي طلحة بالأوقص.

---

(١) ط: فزاد... وعبدالدار.

أَسلم شيبة يوم فتح مكة، وشهد حنيناً، وقيل: بل أَسلم بحنين. وقال الزبير: كان شيبة قد خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يومَ حنين، يريد أَن يغتالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأَى من رسول الله صلى الله عليه وسلم غِرَّةً، فأَقبل يريده، فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا شيبة، هلمَّ لاأُمَّ لك. فقذف الله في قلبه الرعبَ، ودنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع يده على صدره ثم قال: اخسأَ عنك الشيطان. فأَخذه أَفْكَل وقذف الله في قلبه الإِيمان فأَسلم، وقاتل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان ممن صبر معه يومئذ، وكان من خيار المسلمين، ودفع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مفتاحَ الكعبةِ إلى عثمان بن طلحة بن أَبي طلحة وإِلى ابن عمه شيبةَ بن عثمان بن أَبي طلحة وقال: خذوها خالدةً تالدةً إِلى يوم القيامة يا بني طلحة لا يأْخذها منكم إلا ظالم. قال: فبنو أَبي طلحة هم الذين يلُون سِدَانة الكعبةِ دون بني عبدالدار.

قال أَبو عمر: (٧١٣): شيبة هذا هو جد بني شيبةَ حجبةِ الكعبة إلى اليوم، وذكره بعضهم في المؤلفة قلوبهم، وهو من فضلائهم، وتوفي في آخر خلافة معاوية سنة تسع وخمسين، وقيل بل توفي في أَيام يزيد بن معاوية[1]. انتهى.

(١) م: أيام اليزيد.

الباب الخامس والعشرون

في السقاية
وفيه ثلاث فصول

الفصل الأول
في السقاية

كانت قبل الإسلام لبني عبدالمطلب فأقرَّها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لهم في الإسلام. روى مسلم (١: ٣٤٨) رحمه الله تعالى عن جابر رضي الله تعالى عنه حديثه الطويل في باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم وفيه: ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأفاض إلى البيت، فصلَّى بمكة الظهرَ، فأتى بني عبدالمطلب يسقُون على زمزم فقال: انزعوا بني عبدالمطلب، فلولا أن يغلبكم الناسُ على سقايتكم لنزعتُ معكم، فناولوه دلواً فشرب. انتهى.

الفصل الثاني
في ذكر من وليها
في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال أبو محمد ابن عطية في «التفسير» (٨: ١٥٠) قال محمد بن كعب: إن العباس وعلياً وعثمان بن طلحة تفاخروا، فقال العباس: أنا ساقي الحاج، وقال عثمان: أنا عامر البيت، ولو شئتُ بتُّ فيه، وقال علي: أنا صاحب جهاد الكفار مع النبي صلى الله عليه وسلم والذي آمنتُ وهاجرتُ قديماً، فنزلت الآية: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الحَاجِّ وعِمَارة المَسْجِدِ الحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بالله واليومِ الآخِرِ وجَاهَدَ في سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُون عِنْدَ الله وَاللَّهُ لا يَهْدِيَ القَوْمَ الظَّالِمِين﴾ (التوبة: ١٩).

الفصل الثالث
في ذكر العباس عم النبـي صلى الله عليه وسلم

في «الاستيعاب» (٨١٠) العباس بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، يكنى أَبا الفضل بابنه الفضل. وكان العباس أَسنَّ من رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنتين، وقيل بل بثلاث سنين، وأُمه امرأَةٌ من النمر بن قاسط، وهي نثلة ويقال نثيلة ابنة جناب بن كليب[1] بن مالك بن عمرو بن عامر الضَّيْحَان.

وقال أَبو عبيدة: هي نُثَيْلة بنت جناب بن حبيب بن مالك بن عمرو بن عامر [بن زيد مناة بن عامر][2] وهو الضَّحْيَان، ولدت لعبدالمطلب العباسَ فأَنجبتْ به، وهي أَول عربيةٍ كَسَتِ البيتَ الحرامَ الحريرَ والديباجَ وأَصنافَ الكسوة، وذلك أَن العباسَ ضلَّ وهو صبيٌّ، فنذرتْ إِن وجدتْهُ أَن تكسو البيتَ الحرامَ، فوجدته ففعلت.

وكان العباس في الجاهلية رئيساً في قريش، وإِليه كانت عمارةُ المسجد الحرام والسقايةُ في الجاهلية، والسقايةُ معروفة، وليها بعد أَبي طالب فقام بها، وأَما العمارةُ فإِنه كان لا يدع أَحداً يَسَتبُّ في المسجد الحرام، ولا يقول فيه هُجْراً، يحملهم على عمارته في الخير لا يستطيعون لذلك امتناعاً لأنه كان ملأُ قريشٍ قد اجتمعوا وتعاقدوا على ذلك، وكانوا أَعواناً عليه، وسلَّمُوا ذلك إِليه.

وكان ممن خرج مع المشركين يومَ بدر، وأُخرج إِليها مُكْـرَهاً فيما يزعمُ قومٌ، فأُسر فيمن أُسر منهم، وكانوا قد شدُّوا وَثَاقهم، فسهر النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ تلك الليلة ولم ينم، فقال له بعضُ أصحابه: ما يسهرك يا نبيَّ الله؟ قال: أَسهر لأَنين العباس، فقام رجلٌ من القوم فأَرخى من وثاقه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مالي لا أَسمعُ أَنينَ العباس؟ فقال الرجل: أَنا أَرخيتُ من وثاقه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فافعلْ ذلـك بالأَسرى كلِّهم.

---

(١) ط: كليم.

(٢) انظر جمهرة ابن حزم: ٣٠١.

قال أبو عمر (٨١٢): أسلم العباس قبل فتح خيبر، وكان يكتم إسلامه، وذلك بيِّنٌ في حديثِ الحجاجِ بن علاطٍ، أنه كان مسلماً يَسُرُّه ما يسُر ويفتح الله على المسلمين. ثم أظهر إسلامه يومَ فتحِ مكة، وشهد حُنيناً والطائفَ وتبوك، ويقال إن إسلامه قبل بدر، وكان يكتب بأخبار المشركين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان المسلمون بمكة يتقوون به، وكان يحبُّ أن يقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن مُقَامَكَ بمكةَ خير، فلذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر: من لقي منكم العباسَ فلا يَقْتُلْهُ فإنما أُخْرِجَ كَرْهاً.

وكان العباس أنصرَ الناسِ لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وحضر مع النبي صلى الله عليه وسلم يشترطُ له على الأنصار، وكان على دين قومه يومئذ، وانهزم الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يومَ حُنين غيرَه وغير عمر وعليٍّ وأبي سفيان بن الحارث، وقد قيل غير سبعة من أهل بيته، وذلك مذكور في شعر العباس الذي يقول فيه[1]: [من الطويل]

أَلاَ هل أَتى عِرسي مَكَرِّي وَمَقْدَمي ... بوادي حُنَيْنٍ والأَسنَّةُ شُرَّعُ
نصرنا رسولَ الله في الحربِ سبعةٌ ... وقد فرَّ مَنْ قد فرَّ عنه وأَقْشَعُوا[2]

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكرم العباسَ بعد إسلامه، ويعطيه ويُجِلّه، ويقول: هذا عمي وصنو أبي.

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هذا العباس بن عبدالمطلب أجودُ قريش كَفّاً وأوصلُها[3].

---

(١) ذكر ابن عبدالبر أن شعره في السيرة، ولم أجده فيه.

(٢) السبعة هم: علي والعباس وابنه الفضل وأبو سفيان بن الحارث وابناه جعفر وربيعة وأسامة بن زيد (وزاد بعضهم أيمن بن عبيد).

(٣) مسند أحمد ١: ١٨٢.

(٨١٦) وقال ابن شهاب: كان أَصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرفون للعباس فضله، ويقدمونه ويشاورونه ويأْخذون برأيه.

(٨١٤) وعن أَبي الزناد عن الثقة أَن العباس بن عبدالمطلب لم يمرَّ بعمرَ ولا بعثمان وهما راكبان إلا نزلا حتى يجوزَ العباس إجلالا له، ويقولان: عم النبـي صلى الله عليه وسلم.

وروى ابنُ عباس وأَنس بن مالك أَن عمر بن الخطاب كان إذا قَحِطَ أهلُ المدينة استسقى بالعباس.

(٨١٦) وقال ابنُ شهاب: استسقى به عمر فسقي.

قال أَبو عمر ابن عبدالبر رحمه الله تعالى (٨١٤) وكان سببُ ذلك أَن الأَرض أَجدبت إجداباً شديداً على عهد عمر عامَ الرمادة، وذلك سنة تسع عشرة، فقال كعب: ياأَمير المؤمنين إن بنـي إسرائيل كانوا إذا أَصابهم مثلُ هذا استسقوا بعصَبَةِ الأَنبياء، فقال عمر: هذا عمُّ النبيّ صلى الله عليه وسلم وسيد بني هاشم.

(٨١٥) وروينا من وجوه عن عمر رضي الله تعالى عنه أَنه خرج يستسقي وخرج معه العباس، فقال[1]: اللهم إنا نتقربُ إليك بعمِّ نبيك؛ ونستشفعُ به، فاحفظنا بعمِّ نبينا كما حفظتَ الغلامين بصلاح أَبيهما، وأَتيناك مستغفرين ومستشفعين، ثم أَقبل على الناس فقال: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً، ويُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَكُمْ أَنْهَـرا﴾ (نوح: ١٠ ـ ١٢) ثم قام العباسُ وعيناه تنضحان، فطالع عمرَ ثم قال: اللهم أنت الراعي لا تهمل الضالة، ولا تدع الكسيرَ بدار مضيعة، فقد ضَرَعَ الصغيرُ، ورقَّ الكبير، وارتفعت الشكوى، وأَنت تعلمُ السرَّ وأَخفى، اللهم أَغِثْهُمْ بغيـاثِك من قبل أَن يقنطوا [فيهلكوا] فإنه لا ييأْسُ من رَوْحِكَ إلا القومُ الكافرون. فنشأَت طُرَيْرَةٌ من سحاب، فقال الناس: ترون؟ ترون؟ ثم تلاءمت واستتمت ومشت فيها ريحٌ ثم هَرَّتْ ودرَّتْ،

---

(١) قارن بما أورده ابن الأثير في تاريخه ٢: ٥٥٧.

فوالله ما برحوا حتى اعتلقوا الحذاء وقلصوا المآزر، وطاف الناس بالعباس يمسحون أَردانه ويقولون: هنيئاً لك ساقي الحرمين.

(٨١٦) وتوفي العباس بالمدينة يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من رجب، وقيل: بل من رمضان سنة اثنتين وثلاثين قبل قتل عثمان بسنتين، وصلّى عليه عثمان، وَدُفِنَ بالبقيع وهو ابن ثمانٍ وثمانين سنة، أدرك في الإسلام اثنتين وثلاثين سنة، وفي الجاهلية ستاً وخمسين.

وقال خليفة بن خياط (١٧٩): كانت وفاة العباس سنة ثلاثٍ وثلاثين. انتهى.

فوائد لغوية في ثماني مسائل:

المسألة الأُولى: في «الغريبين» العباس صنو أَبي: أَراد أَن أَصله وأَصل أَبي واحد. وفي «الصحاح» (٦: ٢٤٠٤) إذا خرج نخلتان وثلاث من أَصلٍ واحد، فكل واحدة منهن صنو، والاثنان صنوان، والجمع صِنوانٌ برفع النون. وفي «المحكم» في الحديث: عمُّ الرجلِ صِنْو أَبيه.

المسألة الثانية: في «الصحاح» (٣: ١١٥١) القحطُ: الجَدْبُ، وقَحَط المطرُ يقحَط قحوطاً إذا احتبس، وحكى الفراء: قَحِط المطرُ بالكسر يقحَط، وأَقحط القوم إذا أَصابهم القحط، وقُحِطُوا أَيضاً على ما لم يسمَّ فاعله قحطاً.

المسألة الثالثة: في «الغريبين» عام الرمادة أَي عام الهلكة، يقال: رَمِدَت الغنم: إذا هلكت وموتت من بردٍ أَو صقيع، وأَرمدَ القومُ: إذا هلكت مواشيهم، ورمد عيشهم: إذا هلكوا وهو الرمد. وقال أَبو عبيد: بل سمي عام الرمادة لأن الزرع والشجر وكلَّ شيء من النبت احترق مما أَصابه من السنة. فَشُبِّهَ سوادُهَا بالرماد. قال الهروي: هذا تفسير الفقهاء، والأَول كلامُ العربِ، ولكلٍّ وجه.

المسألة الرابعة: في «المحكم» (٣: ٩٤) نضحتِ العَيْن تَنْضَح نَضْحاً، وانتضحت: فارت بالدمع.

المسألة الخامسة: في «الصحاح» (٢: ٨٥٤، ٦٥٦) الهُرْهُور: الماءُ الكثير وهو

الذي إذا جرى سمعتَ له هَرْهَرة[1] وهي حكاية جريه، ويقال: ماءٌ هَرْهَر، وهُرَاهِر، وللسحاب دِرَّةٌ أي صبٌّ، والجمع دِرَرٌ.

وقال النَّمِرُ بن تَوْلَب[2]: [من المتقارب]

سلامُ الإلَهِ ورَيْحَانُه ورحمتُهُ وسماءٌ دِرَرْ
غمامٌ يُنَزِّلُ رزْقَ العِبادِ فأَحيا البِلَاد وطاب الشجر

المسألة السادسة: اعتلقوا الحذاء: أي نزعوها من أرجلهم، وعلقوها بأيديهم لئلا يفسدها الماء من كثرة سيحه. وفي «الصحاح» (٦: ٢٣١٠): الحذاءُ: النعل، واحتذى: انتعل.

وقال الراجز:

* كُلَّ الحِذاء يَحْتَذِى الحَافِي الوَقِع[3] *

المسألة السابعة: قلَّصُوا المآزِرَ: أي رفعوها فتقلصت كي لا يصيبها الماء. وفي «الصحاح» (٣: ١٠٥٣) قَلَصَ الشيء يَقْلِص قُلُوصاً: ارتفع، والمآزِر جمع مِئزَر. وفي «الغريبين»: ويقال: إزارٌ ومِئْزَر ولحافٌ ومِلْحَف، وحِلابَ ومِحْلَب. وفي «المشارق» (١: ٢٩) المئزَر والإزار ما ائتزر به الرجل من أسفله. وفي حديث أنس: أَزَرتني بنصِف خمارها وردَّتني بنصفه، أي جعلت من بعضه إزاراً لأسفلي، ومن بعضه رداء لأعلى بدني وهو موضع الرداء.

المسألة الثامنة: في «الصحاح» (٥: ٢١٢١) الرُّدْنُ بالضم أصلُ الكمّ، يقال: قميصٌ واسع الرُّدِن: وأَرْدَنْتُ القميص، وردَّنته ترديناً: جعلت له رُدْناً، والجمع أَردان. وقال[4]: [من المتقارب]

وعَمرَةُ من سَرواتِ النساءِ تَنفَحُ بالمسكِ أردانُها

---

(١) الصحاح: هَرْهَر.

(٢) البيتان في اللسان والتاج: (درر).

(٣) الرجز في الحيوان ٦:٤٤٦ والبيان ٣:٦٢ وأمالي القالي ١:١١٥ واللسان (وقع) لجساس بن قطيب أبي المقدام.

(٤) هو قيس بن الخطيم كما في اللسان (ردن) وديوانه: ٢٦.